دور المدرسة
في التنشئة الإجتماعية عند الأطفال

تأليف

آمنه حسن النادي

المستشارون للنشر والتوزيع

تصميم: نائل هوجلي

يطلب من:
مركز الرائد للخدمات الطلابية
الأردن - عمان - شارع الملكة رانيا - عمارة رقم 233
ص.ب 836 - الرمز البريدي 11941
تلفاكس: 0096265356849 ، موبايل: 00962796612512
بريد الكتروني: dar_mostasharoon@hotmail.com

9789957603069

مكتبة طريق العلم

لتحميل المزيد من الكتب

تفضلوا بزيارة موقعنا

www.books4arab.me

دور المدرسة والأسرة

في التنشئة الاجتماعية عند الأطفال

دور المدرسة والأسرة
في التنشئة الاجتماعية عند الأطفال

آمنة حسن عبد الرحمن النادي

الطبعة الأولى

٢٠١٥م - ١٤٣٦هـ

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(٢٠١٤/١٠/٤٨٥٢)

٣٧٠,١٥
النادي، آمنه حسن عبد الرحمن
دور المدرسة والأسرة في التنشئة الاجتماعية عند الأطفال / آمنه حسن عبد الرحمن النادي.- عمان: شركة المستشارون للنشر والتوزيع، ٢٠١٤
(   ) ص.
ر. إ. : ٢٠١٤/١٠/٤٨٥٢ .
الواصفات: /علم النفس التربوي//الأطفال/
يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

ISBN 978-9957-603-06-9 (ردمك)

كل الحقوق محفوظة

جميع الحقوق الملكية والفكرية محفوظة لدار المستشارون – عمان – الأردن، ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنفيذ الكتاب كاملاً أو مجزءاً أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على كمبيوتر أو برمجته على إسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطياً.

دار المستشارون للنشر والتوزيع

الأردن – عمان – شارع الجامعة الأردنية – مقابل

كلية الزراعة (الجامعة الأردنية)

مجمع سمارة التجاري (٢٣٣)

الفهرس

المقدمة 9

الطفل الاجتماعي 13

الأنانية 13

كيف يصبح طفلك اجتماعياً 17

تنشئة الطفل الاجتماعية في الأسرة 19

أعطوا الوقت الكافي للأطفال 32

تضارب برامج العمل بين الوالدين 35

تنظيم الوقت من قبل الزوجين له التأثير الأكبر 36

علاقة الأم بطفلها في علم الاجتماع 41

دور المدرسة في التنشئة الاجتماعية 53

كيف نساعد الطفل في علاقاته الاجتماعية 56

مدى كفاءة الأسرة في أداء دورها في تنشئة الطفل الاجتماعية . 61

خروج المرأة للعمل 62

شدة وطأة الأعمال المنـزلية 65

سوء الأحوال السكنية 67

الفقر وسوء التغذية 71
جهل الأمهات بالتربية السليمة 72
عدم ملائمة البيت لمتطلبات الطفولة 76
مشاكل الطفل الاجتماعية 82
كيف تساعد الطفولة 83
أصدقائي لا يحبونني 84
المساعدة الذاتية ضرورية كذلك 85
ثابري ولا تفقدي الأمل 86
شجعي جو التواصل 87
قضية عائلية 87
واجب الصغيرة تطوير احترامها لذاتها........................ 88
الصداقة ودورها في التنشئة الاجتماعية 91
مراحل الصداقة 91
مواجهة خسارة صديق 95
توقعات غير واقعية 97
فوائد الصداقة 98

الإحساس بالأمان 99
علموا الصغار حسن الاختيار 100
علموا الصغار إن الخيار حق لهم 100
معرفة نوع الخيارات 100
معرفة نتائج الخيارات 103
كما يكون الوالدان يشب الطفل 104
النجاح أو السقوط 105
كيف ينمى احترام الذات في الطفل 108
التأثير بالوالدين 109
إرشادات 111
نظرة علم الاجتماع في انحياز الطفل لأحد والديه وعلاجه 115
الجنس الآخر من الوالدين 116
المثال المحتذى قبيل البلوغ 117
النظرة الواقعية 118
عوامل التفضيل 119
وفاق الزوجين ضروري 121

تنشئة الطفل الاجتماعية في دور الحضانة 125
أنواع دور الحضانة 127
دور الحضانة للرضع والفطماء 129
دور الحضانة لأطفال ما قبل المدرسة 135
عالم دور الحضانة 137
تعاون دار الحضانة والأسرة 159
المراجع 165

مقدمة

كثير ما نرى أطفالاً ولدى زيارة شخص غريب للمنـزل، يبدون درجة عالية مـن التقبـل الاجتمـاعي والقـدرة علـى التكيف وحسـن التعامل، والمهارة في الحديث مع الكبار من خلال لغة تدُل على درجـة عالية من الاجتماعية مـع الآخـرين..!! وبـنفس المظـاهر الاجتماعيـة المختلفة نجد هُناك بعـض الأطفـال الـذين لا يرغبـون في التعامـل مـع الآخرين وحُب التفرد والوحدة والهدوء، والميل الخـاص للخصوصـية الاجتماعية، وجميع ما يتقـدم بعكـس صـورة العلاقـة الأسـرية ونمـط التربية والتنشئة الاجتماعية سواء في البيـت أو الروضـة أو المدرسـة أو جماعات اللعب والأقران.

ومـع التطـورات السـريعة في العـالم الآن، وخـروج كـثير مـن الأمهات إلى ميادين العمـل، فقـد أصـبح الطفـل يقضـي وقـت لـيس قصير مع الخادمة أو المربية الأجنبية، أو في الروضة أو الحضـانة، ومـن بعدها ينتقل إلى عالم المدرسة.

فهل لنا أن نُدرك مدى خطورة وأهمية وحساسـية هـذه المرحلـة من حياة الطفل والـتي تتشـكل فيهـا الشخصـية، ومـدى التوافـق بـين التوقعات والطموحـات لـدى الأسـرة والمجتمـع، أن الشـعور بـالأمن والاستقرار قضية حيوية وهامة في حيـاة الطفـل بهـذه المرحلـة، الأمـر الذي يترتب عليه المتابعة والاهتمـام المسـتمرين للطفـل سـواء داخـل

المنزل أو خارجه، والذي يتطلب تعاوناً واضحاً وإيجابياً ما بين الآباء والمربين والمعلمين.

وحتى يبقى الطفل قريب من واقعه الاجتماعي، ينبغي الحرص على أن يتم التمييز بين الواقع والخيال، حيث أن وسائل الإعلام والأدوات الحديثة للتواصل الاجتماعي، تدخل في عالم وحياة الطفل دون استئذان مسبق، فتفضيل البرامج والعلاقات الزوجية الدافئة تعكس جو الطمأنينة والاستقرار والأمن في حياة الطفل، ويبدو أن هذه المعايير من التوافق في التربية الأسرية والتربية المدرسية في الحضانة والمدرسة ضرورية جداً بحيث يظهر التوافق والانسجام.

الطفل الاجتماعي

الطفل الاجتماعي

أن عـدم انسجام الطفل الدارج في ختـام سنته الأولى مع أجواء الحياة الاجتماعية التي يحياها هو من الأسباب التي تبعث الهـم والقلـق في نفوس الوالدين ولكن لا داعـي لمثـل هـذا القلق،فالطفـل في هـذا العمر ولو كان صحيح الجسـم والعقـل لا يستطيع التفاعـل مـع مـن حوله اجتماعياً تفـاعلاً مقبـولاً، فهـو يـدفع مـن حولـه مـن الأطفـال ويحاول الاستئثار بما في أيـديهم مـن ألعـاب وأشـياء وقـد يصـطنع في سبيل ذلك أساليب تتصف بالعـدوانية والتسلط والطفل في هذه السـن قد يبدو أنانيـاً لا يهـتم بـالأثر الـذي يحدثـه علـى مـن حولـه سـلوكه وتصرفاته وإقرانـه من الأطفال إذا كانوا في مثـل سـنه قـد يتصـرفون التصرف ذاته.

الأنانية

ليس السبب في ذلــك أن الطفـل يشـعر بالعدوانيـة إزاء سـواه وإنما يرجع السـبب إلى أن الطفل يعامل الآخرين وكـأنهم مجـرد أدوات تستخدم إرضاء ميوله وهناك مشكلة أخرى وهـي أن الطفـل الـدارج لا يستطيع أن يفهم أنه مجرد فرد في عالم زاخـر بـالأفراد الآخـرين،وأن لـلأطفال الآخرين حاجات ومشاعر،فإنه في هذه السن لا يسـتطيع أن يدرك سوى وجهة نظر واحدة هي وجهة نظره.

وهذا السبب مقروناً بحقيقة كونه لا يستطيع بعد التحكم في عواطفه حتى ولو نبه إلى ذلك مراراً وتكراراً يجعل من الصعب على أحكم الآباء والأمهات أن يعلموا أطفالهم كيف يحسنون معاملة من حولهم.

كيف يصبح طفلك اجتماعياً

كيف يصبح طفلك
اجتماعياً

فكيف السبيل إذن إلى تلقين الطفل الدارج أصول الحياة الاجتماعية :

- تدبري أمر إيجاد شركاء لطفلك يشاطرونه اللعب، حتى لو لم يكن الطفل قد بلغ بعد السن التي تحببه لسواه، فالطفل يحب رؤية الأطفال من حوله على كل حال وعن طريق الرؤية والمراقبة يستطيع تعلم الأشياء وتقليدها.
- تأكدي من الإشراف الدائم على تصرفات الطفل بدون اللجوء إلى الدفع والضرب لأن ذلك يجعل الطفل نفسه ومن حوله من الأطفال تعساء، وإذا تحرر الطفل من قيود الإرشاد الدائم فإنه قد يلحق الأذى بسواه.
- حددي ساعات اللعب، فالطفل الدارج سريع التعب محدود فترة الانتباه.
- امتنعي عن إرغام طفلك الدارج على التفاعل الاجتماعي مع سواه من الأطفال لأنه لا يستطيع إدراك مغزى مثل هذا التفاعل ويحب أن يلهو جنباً إلى جنب مع أطفال يلهون فإذا بلغ الطفل أو الطفلة سناً معينة فعندها يأخذان في التفاعل المتبادل مع أقرانهما.

- إياك ومعاقبة طفلك إذا تخاصم مع أقرانه، فإذا أصبح عدوانياً أبعديه عن مكان اللعب حتى يهدأ.
- حاولي تدريب طفلك أو طفلتك أداء الأعمال الاجتماعية البسيطة كتحية الأقران أو شكرهم أو توديعهم.
- لقني طفلك دروساً سهلة حول المشاركة فهذه الدروس السهلة تجعله في نهاية المطاف مدركاً لحقوقه.
- إذا أحاط بطفلك كثير من الأطفال الآخرين حاولي أن تضعي ألعابه الأثيرة في مكان بعيد عن متناول الأيدي الكثيرة لئلا تتلف قبل أن يتعلم أصول المشاركة.
- يجب أن يكون الوالدان مثالاً يحتذى، فالطريقة التي يخاطبا بها طفلهما وكيفية إبداء الحرص على سلامته والطريقة التي يواجهان بها نوازعهما العدوانية تؤثر ولا ريب على كيفية تعامله مع الأطفال الآخرين.
- تذكري أن تعلم المهارات الاجتماعية يتطلب مرور وقت طويل، فإذا كان طفلك شبيهاً في سلوكه بمعظم الأطفال، فإنه لا يكون مستعداً من الناحية التطورية لأن يكون زميلاً تحسن معاشرته قبل أن يبلغ العام الثالث من عمره على الأقل.

تنشئة الطفل الاجتماعية في الأسرة

إن الذي يقوم بهذه العملية في بداية حياة الفرد منذ ولادته مجموعة الأسرة فحياة الوليد ومعيشته تتوقف أساساً على أسرته وبالدرجة الأولى على أمه بالذات وليست أهمية الأسرة بالنسبة للطفل تتركز حول مدة بما يحفظ له الحياة، فحسب بل أنها تتعدى ذلك إلى عملية شخصية وجعله آدمياً متوافقاً مع أفراد المجموعات التي يندمج فيها، ويكون عضواً من أعضائها لذا فيجب إشباع هذه الحاجة العامة والهامة جداً لكي يتحول هذا الفرد من كائن عضوي حيواني السلوك إلى شخص آدمي بشري التصرف في محيط أفراد آخرين.

يتم إشباع حاجات الطفل في سنوات الحضانة بواسطة الأسرة متمركزة في الأم أولاً ثم الأب في المحل الثاني، خلال قياسهما التنشئة الاجتماعية، فإذا هما ساعدا الطفل على إشباع حاجاته إشباعاً كافياً في إطار من الأمن، أي من الحب والعطف والتقبل، الخ، فإن ذلك ييسر له اكتساب القدرة على التكيف، والقدرة على التكيف هي حجز الزاوية في تطبيعه وتنشئته الاجتماعية، كما أنها أيضاً محرر سعادة الفرد ورقي المجتمع، ولقد كانت ولا تزال الغاية الأساسية من التنشئة الاجتماعية في كل الثقافات، من أبسطها إلى أشدها تعقيداً،

هي تربية أشخاص متوافقين ليهموا في تقدم المجتمع ورقيه، لا ليكونوا عبئاً عليه، بعدم قدرتهم على التكيف والتوافق.

ونحن في عصرنا هذا، عصر الذرة وغزو الفضاء، أحوج ما تكون إلى تنشئة الطفل تنشئة اجتماعية، على أساس راسخ من القدرة على التكيف حتى تؤهله لحفظ توافقه مع المجتمع الذي يعيش فيه ومع سرعة ما يحدث فيه من تغير اجتماعي مستمر وسريع، يكاد يبلغ حد الطفرة في بعض الأحيان، وفي هذا يقل " جزل " الطفولة عند الإنسان هي زمن التثقيف (أي التطبيع والتنشئة الاجتماعية).

فالحضين ينبثق من تيار بني جنسه، ويقذف به مولده في خضم عالم من صنع يد الإنسان، مزدحم يزاد ثقافة عصرية، وما يتعلق بها من أمور الحياة ومطالبها القسرية، إن من المشكلات المستديمة في الثقافة، إحداث تكيف أمثل لهذا العالم المعقد، بتوفير أمثل الظروف اللازمة لتطور الأطفال.

وليس بالمقصود بإشباع حاجات الطفل إشباعاً كافياً،الإشباع المطلق لها، أو أن الطفل في نموه لا ينبغي أن يعاني حرماناً مهما كانت الظروف، فالطفل لا ينمو في فراغ، وإنما ينمو في مجتمع، والحياة في مجتمع تتضمن دائماً قدراً من الإحباط، وقد لا يعاني الطفل من الإحباط في أشهر حياته الأولى إلا قدراً ضئيلاً نسبياً، فهو يظفر بالطعام، ويستمتع بالحماية والنوم، ويستطيع تمرين أطرافه كيفما شاء

دون تقييد يذكر، كما أنه يحظى من أمه بكل رعاية جسمية وعاطفية، ولكنه كلما تقدم في العمر شهراً بعد شهر، وعاماً بعد عام، ازدادت الضغوط الواقعة عليه، وازدادت تبعاً لذلك حاجته للتكيف والتوفيق بين دوافعه البيولوجية الفجة وحاجاته المختلفة من جهة، وبين مطالب المجتمع والثقافة التي يعيش فيها من جهة أخرى، وهنا تتدخل الأم لتساعد وليدها وتوجهه وتشجعه على قبول التأجيل والانتظار، ويتم ذلك في جو من عطفها وجهاً وعلى أساس الارتباط بقوى الطفل الفطرية ومستوى نضجه، فعندما يكون صغيراً تواجه حاجات الجوع لديه على عجل، فإذا زاد نموه صار بالتدريج متعوداً على الانتظار قليلاً والاحتمال المؤقت قبل إشباع جوعه، وبهذا يكتسب صلابة عود يتزايد بدرجات بطيئة موازية لقدرته على التحمل واستطاعة الصبر على التأجيل.

وهكذا يسير الحال إلى أن يصل بالتدريج إلى درجة أكبر من الاعتماد على النفس والقدرة على الضبط والاستقلال، ولا شك في أنه من إمارات النمو السليم، زيادة قدرة الفرد على الانتظار، وضبط النفس والتحكم فيها، وعلى أن يتحمل دون شعور مرير بحرمان مؤلم ودون انطواء أو عدوان، قمعاً مباشراً لرغبة ما بينما يجد لها منفذاً مقبولاً.

وفي معرض الكلام عن اكتساء الحاجات بالصفة الاجتماعية يقول "كوللان" إن الطفل لا يعيش منفرداً، ولا بد أن يدخل تفكيره في نطاق الأطر الاجتماعية، ولكن دخول التفكير في الأطر الاجتماعية ينعكس على ميوله ورغباته وتذوقاته، فتتخذ بحكم ذلك لوناً جديداً تصبغها به معاشرة الآخرين.

والواقع أن الوسط الاجتماعي يراقب حاجات الطفل مراقبة شديدة، وينظم صور إشباعها، وهو لا يسمح للطفل بإشباع كل رغباته، بل يرغمه على الحد منها، وهكذا تتخذ التربية في كثير من الأحيان، صورة سلبية يعبر عنها بالقول: "لا تفعل هذا" وعلى ذلك فإن هذه المراقبة الاجتماعية لإشباع الميول تؤدي إلى إرغامها على طلب الإشباع بصورة غير مباشرة، كأن تظهر الميل بصورة أخرى، وتبعد الإشباع من طريق ثان، فينقلب الميل إلى الميل من نوع أعلى ويكون الإشباع بصورة جديدة.

وعملية التنشئة الاجتماعية هي الأداة التي يستخدمها المجتمع في تحديد المنافذ المقبولة لتلك الحاجات والقدرات الفطرية لدى الطفل، فالمجتمع يوافق على أن يقر ضروباً معينة من السلوك، كالتعاون والإيثار، ويحرم ضروباً أخرى مثل العدوان والتخريب والأنانية، ومجموع هذه الأنواع من السلوك التي يقرها المجتمع هو ما يسمى عادة "أسلوب الحياة" أو "المعايير الاجتماعية" ولكل مجتمع أسلوب حياته،

ومعاييره الاجتماعية الخاصة به والمميزة له، وللمجتمعات المختلفة مقاصدها الصريحة والضمنية، فيما تريد أن يسود في أفرادها من اتجاهات ونزعات ومعان، ويستخدم كل مجتمع الأساليب والطرق التي تناسبه لتحقيق مقومات النمو الاجتماعي المنشود.

ومعنى ذلك أن التنشئة الاجتماعية لا تسير بطريقة عشوائية، وإنما تسير دائماً على هدى معايير معينة للمرغوب فيه والمرغوب منه، ولذلك تتسم بأنها معيارية وبأن وظيفتها مساعدة الفرد على استدماج الثقافة وتمثلها في شخصيته، وبذلك تعمل على صيانة التركيب الاجتماعي وتأييده، فكل طفل ينمو في أي مجتمع لا بد أن يتعلم كيف يلتزم بقدر الإمكان بأسلوب الحياة في هذا المجتمع، وبمجموعة معاييره الثقافية.

وفي هذا المعنى يقول "بولر" و"تشارلز" (Baller & Charles)، ينتظر كل مولود جديد محيط يحتوى على أكثر من الأشياء المادية، أنه بيئة من الأفكار والمشاعر والمعتقدات وأنماط النشاط المرتبط بها، هذه هي بيئة الطفل البشرية، إنها بيئة اجتماعية – ثقافية، تحتوى على طرائق الناس غير المتعلمين،أو طرائق الناس المتعلمين وفي أي الحالات، وكما تنمو الأيام إلى شهور، تصبح أفكار الأشخاص الملتصقين بالطفل ومشاعرهم وأفعالهم، أفكاره ومشاعره وأفعاله هو

نفسه إلى درجة كبيرة، إنه لا يستطيع منها فكاكاً لأنها كالهواء الذي يتنفسه.

تلك هي طبيعة العلاقة التي عن طريقها، يغلف الأشخاص الملتصقون بالطفل، الطفل نفسه بطريقة ثقافية – لا يسعه إلا أن يهضمها – وهي على اختلاف نظرتنا إليها، تهضمه بدورها.

ويؤكد "أرنولد جزل" المعنى السابق لضرورة استدماج الطفل لثقافة المجتمع الذي يعيش فيه، حيث يقول :"وبينما الطفل ينمو، ينبغي أن يطبع بالطابع الاجتماعي، إذ بطريقة ما ينبغي للفرد ألا يحافظ على وجوده الحيوي فحسب، بل لا بد له أن يصير شخصاً بين غيره من الأشخاص" وهذا هو الموضوع الذي يوقع في أشد أنواع البلبلة والارتباك الطفل الحضاني الذي يربى في ثقافة اليوم المعقدة، وتنظيم شخصيته يتوقف على الطريقة التي يتوافق بها إزاء العلاقات البشرية.

وعملية التنشئة الاجتماعية عملية تكييف الطفل لبيئته الاجتماعية،وتشكيله على صورة مجتمعه،وصياغته في القالب والشكل الذي يرتضيه،فهي عملية تربية وتعليم تضطلع بها الأسرة والمربون، بغية تعليم الطفل الامتثال لمطالب المجتمع والاندماج في ثقافته، والخضوع لالتزاماته، ومجاراة الآخرين بوجه عام.

وعملية التنشئة الاجتماعية تقوم على ضبط سلوك الفرد وكفه عن الأعمال التي لا يقبلها المجتمع وتشجيعه على ما يرضاه منها، حتى

يكون متوافقاً مع الثقافة التي يعيش فيها، فالضبط الاجتماعي لازم لحفظ الحياة الاجتماعية، وضروري لبقاء الإنسان، وطبيعة الإنسان لا تكون بشرية صالحة للحياة الاجتماعية، إلا بخضوعها لقيود النظم المختلفة، التي تهذب النفس وتسمو بها، وبذلك يعيش الإنسان في سلام مع غيره من الناس ويكتسب حبهم واحترامهم.

والطفل يولد مزوداً بقدرة على التعلم، ولكنه لا يولد مزوداً بأنماط السلوك، فهذه يتعلمها من الحياة الاجتماعية، فالتعلم يشكل شخصيته بطريقة تجعله صالحاً لحياة منظمة تتبع أنماط معينة ترتضيها المجموعات الصغيرة والجماعات الكبيرة، ويرضى عنها المجتمع بوجه عام، وهذه القدرة الفائقة على التعلم التي حبت الطبيعة الإنسان بها، تلك القدرة التي تعلو عند الإنسان على ما يوجد منها عند سائر المخلوقات الأخرى، هي الأساس الذي يعتمد عليه المجتمع في ضبط الإنسان وتحديد دوافعه حتى يكون سلوكه متوافقاً مع الحياة الاجتماعية السائدة.

ويرى 'دوركايم' (أن جميع أنواع التربية تنحصر في ذلك المجهود المتواصل، الذي نرمي به إلى أخذ الطفل، بألوان من الفكر، والعاطفة، والسلوك، التي ما كان يستطيع الوصول إليها لو ترك وشأنه، وبيان هذا أننا نضطره منذ حداثة سنه إلى الأكل والشرب والنوم في ساعات معينة، وتوجب عليه النظافة والطاعة، ثم تجبره

على التعلم،وعلى مراعاة حقوق الغير وعلى احترام العادات والتقاليد، كذلك توجب عليه العمل، وغير ذلك من الأمور، وإذا لم يشعر الطفل بهذا القهر كلما تقدم به العمر، فإن السبب في ذلك يرجع إلى أن القهر يخلق لديه شيئاً فشيئاً، بعض العادات والميول الداخلية التي تجعل القهر عديم الفائدة، ومع ذلك فإن هذه العادات لا تحل محل القهر إلا لأنها تصدر عنه.

وهكذا نرى أن الضبط الاجتماعي هو لب عملية التطبيع الاجتماعي، والمضمون المركز للتنشئة الاجتماعية، وأنه الظاهرة التي يتميز بها الإنسان عن الحيوان،حتى أنه لا يكون بعيداً عن الصواب القول، بأن الإنسان حيوان عاقل غير مدرك، ومضبوط اجتماعياً في أقواله وأفعاله، أي في سلوكه الفردي والجمعي.

وتبدأ عملية التعلم وضبط دوافع الطفل في الأسرة منذ سن مبكرة جداً وهناك ثلاث درجات لضبط دوافع الطفل وسلوكه، وتعد الدرجة الأولى أدنى درجات الضبط لأنها تقع في المستوى العضوي، ووسيلتها الشعور باللذة والألم، فالضبط من الدرجة الأولى يفيد في تعليم الطفل تعليماً شرطياً في مرحلة مبكرة، فهو يكرر ما يحدث له ارتياحاً وما يشعر باللذة، وتتكون العادة نتيجة هذا التكرار المصحوب بالارتياح واللذة، كما أنه يكف تدريجياً عن فعل ما يحدث له مضايقة ويجلب له الألم، وبهذا الشكل يضبط الطفل التبرز

والتبول وكثرة البكاء والعناد، وهكذا تنمو فيه الأنماط الأولى للسلوك المرغوب فيه والمرضى عنه من جماعته، ومعنى ذلك أن اللذة والألم يحددان سلوك الفرد في مرحلة الطفولة المبكرة، حيث يكون الضبط في المستوى العضوي.

أما الدرجة الثانية لضبط فيقع في المستوى الاجتماعي حيث تكون شخصية الطفل قد أخذت في النمو، ويكون عقله قد بدأ يميز ويدرك الأمور تدريجياً، وتتأثر شخصية الطفل في هذه المرحلة تأثراً شديداً بالإيحاء والتقليد والإحباط ومختلف القوى الأخرى المشابهة، وللمجموعة ممثلة في الأسرة، وثلة الأصدقاء، وعصبة القران السلطة العليا في ضبط السلوك وتنميطه حسب معاييرها وقيمها ومثلها ومبادئها، فالفرد في الأسرة، في أغلب الحضارات، محدد المكانة، معتمد على الغير، آخذ، ناقل، مطيع، خاضع، وهو في الثلة آخذ، معط، ودود، مفض بسره، كاتم لأسرار غيره، هادئ متعاون، مستعد للتضحية، محب للغير، وهو في العصبة مغامر، متنافس، متحد، متعاون مؤقتاً، مكافح، مثابر، مبتكر، أناني.

وأما الدرجة الثالثة للضبط فتقع في المستوى الثقافي الذي يطلق عليه اصطلاح فوق العضوي، ويشتمل الضبط في هذه المرحلة على الظواهر الثقافية والآداب الشعبية والأوامر والنواهي والأعراف

والطرائق الفنية، وأنماط السلوك الرمزية المستحدثة، فالثقافة هي القالب الذي يشكل الشخصية ونمط سلوكها.

وعملية التنشئة الاجتماعية عملية ذات جانبين، كفي وتشجيعي، فهي وإن كانت تقوم على الضبط، وكف الطفل عن فعل كثير مما يشتهي، إلا أنها في الوقت ذاته تعينه وتشجعه على أن يتعلم كيف يحقق كثيراً مما يريد، فهي تنهاه عن القيام بأعمال يميل إليها بطبعه،وتأمره بأداء أعمال لا يميل إليها بطبعه، فإن أراد أن يتجنب سخط الكبار واستهجانهم، وأن يطفو بثوابهم واستحسانهم فلا بد أن يكف بعض دوافعه الملحة، وأن يزعم نفسه عن فعل مالا يستسيغ، وعلى هذا النحو تقيم التنشئة الاجتماعية في نفس الطفل بذور سلطة داخلية هي "الضمير" الذي يأخذ في النمو، ويقوى بالتدريج مع نمو الطفل ونضوجه خلال مراحل نموه المتعاقبة.

ومن الأهمية بمكان أن نؤكد أن تكيف الطفل بالوسط الاجتماعي الذي يعيش فيه يتم بطرق مختلفة أهمها الأمر والتحريم،إذ يأخذ الوالدان على عاتقهما أن ينبها الطفل في كل مناسبة إلى ما يجب عليه عمله، وما يجب تجنبه، فالأوامر والنواهي وسائر المحرمات هي الدعائم الأساسية لكل عقيدة دينية، كما أنها دعامة في التجارب التعليمية لكل طفل، وقد بينت الأستاذة "مرجريت ميد" هذه الحقيقة بوضوح في تتبعها لنظام التربية الاجتماعية عند بعض القبائل

البدائية، فذكرت أن بعض قبائل "غينيا الجديدة" حيث يقدس السكان فكرة الملكية، وحيث يولول الأهالي وينتحبون حين يفقدون شيئاً كما لو كانوا قد فقدوا قريباً عزيزاً، في هذا المجتمع تعلم الأم طفلها كيف يحترم ملك الغير منذ السنوات الأولى من عمره وتكرر على مسامعه دائماً وبدرجة تبعث على الضجر والسأم هذه العبارات: "هذا الشيء ليس ملكك، اتركه على الأرض، إنه ملك فلان، وقد كان نتيجة ذلك، كما تقول مرجريت ميد، أن ممتلكاتنا وما لجعله من علب الغذاء الحمراء والصفراء التي تجذب الأطفال عادة، وأدوات التصوير،كل ذلك ظل في مأمن من عبث الأطفال الذين في سن الثانية والثالثة.

ونعود فنؤكد أن التنشئة الاجتماعية هي المثلى هي التي تستطيع أن تحقق إشباع حاجات الطفل في إطار من الأمن، وذلك بالتزام جانب المرونة والاعتدال في فرض النظام عليه، وفي ممارسة أنواع الضبط في سلوكه، والبعد عن التزمت والتشدد معه، فالطفل ليس قطعة من الصلصال تشكله الضغوط الخارجية دون أن يستجيب لها ويتفاعل معها، لقد وضعنا ما تمارسه الثقافة من ضغط عليه، وما تتطلبه منه كف وكبت وحد لميوله، ولكنا من جهة أخرى يجب أن نتذكر أن هذه الميول نفسها،طاقات تدفع الطفل إلى أن ينمو وينضج، ويتولى مصيره بين يديه تدريجياً كلما تقدم به العمر، كما يجب ألا تنسى أن من أصعب مشاكل التوافق ؛ أن يضحي الطفل بامتيازات

الانطلاق والفردية في سبيل المواءمة الاجتماعية، أي في سبيل أن يصبح فرداً مسؤولاً في المجتمع الإنساني.

ولكن تستطيع الأسرة تنشئة الطفل تنشئة اجتماعية سليمة وإشباع حاجاته في إطار من الأمن ويحاول الوالدان أن يراعيا أن تقوم تربيته وتعليمه على الفهم والوعي بحاجاته، وتقدير مطالب نموه ونضج قدرته، ومعنى ذلك أن تكون مطالب الوالدين من الطفل، مؤقتة توقيتاً يناسب درجة نموه، بحيث يكون في وسعه القيام بها وتحقيقها وإنجازها، كما ينبغي أن يراعيا في عملية تعليمه السلوك الاجتماعي إنها عملية بطيئة، وأن الطفل معرض لأن ينجح مرة ويخطئ مرات، بل إنه قد ينتكس بعد أن يكون قد تقدم.

والعامل الجوهري الفعال في تنشئة الطفل الاجتماعية وتيسير تكيفه لمطالب المجتمع، هو موقف والديه منه واتجاهاتهما نحوه عندما يكافئان نجاحه بالاستحسان والاحترام الصادق، ويغدقان عليه المحبة والحنان، عن طيب خاطر ودون تقلب أو تذبذب، فهنا وعندئذ فقط يوقن الطفل أن الامتثال لرغبات الوالدين صفقة رابحة، فيقبل القيود حباً في والديه، ومن هذه المرحلة الأولية سوف يتقدم في يسر إلى المرحلة التالية، حيث يدرك المنافع الحقيقية التي تعود عليه من مواءمة سلوكه مع سلوك الآخرين، ومن تعاونه معهم في شتى أنواع النشاط، فمثلاً قد يرضى الطفل أن يشاركه الأطفال لعبة استجابة لنصيحة

والديه، ومن أجل حبه لهما وحبهما لـه، ولكنـه سـوف يكتشـف إن عاجلاً أم آجلاً، أن استمتاعه باللعب مع الأطفال يفوق استمتاعه باللعب وحده منفرداً.

ويمكن القول بوجه عام إنه مهما كانت قدرة الطفل على التكيف ضمان لنموه السليم، إلا إذا وفرت له البيئة، وسائل مقبولة لإشباع حاجاته ودوافعه الأساسية، وإلا إذا توافر له أيضاً من عطف الأسرة وحبها له وتقبلها إياه، ما يسنده ويشعره بالأمن، وعلى ذلك فإن أهم شيء في التنشئة الاجتماعية وفي رعاية نمو الطفل وإشباع حاجاته، التزام الحرص وعدم الإسراف في تعريضه لمواقف تثير في نفسه القلق أو تجعله يخشى أن يفقد العطف أو تزعزع شعوره بالأمن.

ولقد كانت الأسرة ولا تزال، كما سبق أن ذكرنا، أهم هيئة في المجتمع تضطلع بعملية التنشئة الاجتماعية، ونقل التراث الاجتماعي من جيل إلى جيل، وقد ظلت الأسرة الهيئة التربوية الأولى والأساسية، دون منازع، طوال حقب التاريخ المديدة للإنسان، وسوف تظل كذلك، وليست الأسرة مجموعة بيولوجية فحسب، بل مجموعة ثقافية أيضاً، فهي بيولوجية، من حيث كونها خير التنظيمات لإنتاج الأطفال، ووقايتهم ورعايتهم في فترة الطفولة الطويلة التي تتصف بالعجز والاعتماد على الغير، وهي مجموعة ثقافية، لأنها تجمع تحت

سقف واحد، وفي ارتباط ودي وثيق وحميم، أشخاصاً مختلفي العمر والجنس، يتولون تحديد وتجديد الطرائق والأساليب والمواصفات الاجتماعية التي يجرى عليها المجتمع الذي يولدون فيه، فالبيت يقوم على حد قول "جزل : ويعمل مشغل ثقافي من حيث نقل التقاليد القديمة، وخلق قيم اجتماعية جديدة، لذلك فإن الأسرة في روحها وتنظيمها تعكس الثقافة في تاريخها، ويقول روزفلت إن حياة المنزل هي أسمى وأبدع ثمرات الحضارة، وهي أعظم قوة في تكوين العقل والأخلاق، ولا يجب أن يحرم منها الطفل إلا لأسباب قاهرة.

أعطوا الوقت الكافي للأطفال

يطالب الأباء مراراً بتمضية وقت أكبر في الاهتمام بالأشغال البيتية والعناية بالأطفال والبعض منهم فقط يقومون بذلك العمل، أما بالنسبة للبعض الأخر، فهم يودون لو يمضوا هذا الوقت مع أبناءهم ولكن طبيعة عملهم ووضعهم المادي لا يسمح لهم بالأخذ على عاتقهم قسماً منه مسؤوليات المنزل.

يقول أحد الآباء أنا أعمل في وظيفتين.. لتأمين حاجات المستقبل، وينتهي عملي الأسبوعي مساء الجمعة، وعدم مساعدتي للأطفال وقضاء الوقت معهم لا يعود لكسلي، بل لأني أكون في غاية التعب وآخر يقول :أستيقظ في بعض الأحيان عند الخامسة فجراً لأستقل طائرة إلى مدينة أخرى، وأعود بعد الغذاء فقط لتقضية بعض الساعات الإضافية مع العائلة ولكن من البديهي أن لا أتواجد خلال تنظيف المطبخ.

تضارب برامج العمل
بين الوالدين

تضارب برامج العمل بين الوالدين

فالآباء الذين يعملون في وظائف تتطلب وقتاً، لا يملكون غالباً الوقت والقدرة للتكيف مع دورهم في رعاية الأطفال في المنزل فما يفعله الأب والأم في المنزل من إصلاح أعطال وصولاً إلى الطعام من الممكن أن يحدد بالخبرة والممارسة والمهارات والتنظيم وإعداد البرامج أكثر منه تحديداً عن طريق شعار "من الأولى في استلام المهام" أو عن طريق "التفرقة الجنسية" وتقول إحدى الأمهات أنها لا تملك الخبرة في ما يتعلق بالسندات والأسهم ومسك الدفاتر أو الضرائب، وأنها تفضل كوي الثياب في أي وقت على القيام بعمل ما يتعلق بالأمور المالية، ولأسباب مشابهة ولعدم توفرها في الآخر، فإن متطلبات الاهتمام بالأطفال كالحمام وتغيير السقوط الصحية للأطفال ووقت النوم، كلها تندرج تحت إطار الأعمال الخاصة بالأم، وقام مؤخراً بعض الجدل لتحديد الجهة التي تتحمل المسؤولية الكلية وأيضاً للتوصل إلى معرفة ما إذا كان تقسيم العمل نزيهاً ومتساوياً ولكن تلك التساؤلات باتت غير مهمة بعد أن أصبح معلوماً لدى الجميع أن مهمات العناية بالطفل تؤدي إلى علاقات محبة صداقة مباشرة بين الطفل والوالدين.

وغالباً ما تؤدي إلى علاقة محبة صادقة ومتينة بين أفراد الأسرة جمعاء، أما بالنسبة إلى أب لا يملك الوقت الكافي فيبرز السؤال التالي :

إلى أي حد يجب عليه أن يشارك في الاهتمام بالأطفال، يمكن أن نجيب بأن مشاركته تعتمد على ما يلي:

أولاً : طبيعة عمله.

ثانياً : إذا ما كانت الأم تعمل أيضاً.

ثالثاً : عدد الأطفال وأعمارهم.

رابعاً : شخصيته وشخصية زوجته ومهارتها وقيمتها.

فمن الضروري إذن لكل عائلة أن تقرر نفسها توزيعاً للوظائف المتعلقة بالاهتمام بأمور الأطفال.

تنظيم الوقت من قبل الزوجين له التأثير الأكبر

ينطبق المثل المعروف القائل: "إن نوعية الوقت أهم من كمية الوقت" على الآباء والأمهات في آن معاً،فالعلاقة مع الأطفال غالباً ما تتطلب بعض الوقت، الذي هو عادة ملك للأطفال ولا أحد يعلم كم يتطلبون من الساعات، وبالإضافة إلى ذلك فللأب تأثيرات على أطفاله نتيجة للعناية المباشرة بهم، ولكن هناك ما يوازيها من التأثيرات نتيجة لعلاقات غير مباشرة فبعض الأبحاث إشارات إلى أن الدعم المعنوي الذي يعطيه الزوج للزوجة والمشاركة الزوجية الكافية،ساعدت الأم على التكيف مع حالتها في فترة الحمل والشعور بالارتياح خلال الولادة وفي إطعام الطفل بطريقة جيدة والمهارة

والحنان في التعامل مع الطفل وأيضاً ساعدتها في اكتساب التكيف في علاقتها النفسية مع الطفل.

أن هذه الحقائق ليست أعذاراً للآباء كي يتجنبوا مساعدة الأطفال ولكنها شرح مسهب لضرورة مشاركة الآباء عائلتهم لذا فإنه من الضروري أن يشارك الأب في الأعمال التي يراها متلائمة مع وقته وعمله فتكون بالتالي مفيدة له وللعائلة في وقت واحد وتلك العلاقة تشتمل على ثلاثة أقسام :

- **أولاً** : علاقة الزوج والزوجة.
- **ثانياً** : علاقة الزوج والأطفال.
- **ثالثاً** : نشاطات عائلية مشتركة، وإذا ما مد الوقت بسبب العمل في المنزل كتصليحات وتنظيفات، يمكن على الزوج حينئذ أن يختار بعض الأعمال الجانبية التي تمكن الزوجة والأطفال من المشاركة في إنجازها وفي أوقات الضرورة يمكن لأفراد العائلة أن يدربوا بعضهم البعض على مختلف الأعمال،أو أن يساعد الأب أولاده على إنجازها، رغم أنها ستأخذ وقتاً أطول، وهكذا، فإن الوقت الذي تقضونه معاً داخل بيتكم سيكون وقتاً جديراً ويستحق الضياع.

علاقة الأم بطفلها

في علم الاجتماع

علاقة الأم بطفلها في

علم الاجتماع

ترجع المتاعب الاجتماعية والذهنية لأي إنسان إلى أخطاء حدثت في الأيام الأولى من عمره، والواقع أن هذه الحقيقة جاءت ضد الفكرة السائدة عن المولود خلال الأسابيع الأولى من عمره، كما أن هذه الفكرة تؤكد أن المولود خلال هذه الفترة يكون عبارة عن مجموعة من الخلايا التي تنمو دون أن تدرك فالربط بين الأحداث أو حتى متابعتها يكون معدوماً والهدف الوحيد لهذا الكائن الجديد هو الأكل والنمو.

وبدأت الأفكار العلمية الحديثة في محاولة لاستكشاف مدى صحة هذا الاعتقاد القديم، وكانت أبسط التجارب التي أجريت عبارة عن تحريك حلقة حمراء أمام عيني الطفل حديث الولادة أو بعبارة أدق بعد الولادة بيومين وكان مذهلاً أن تتحرك عينا الطفل مع حركة الحلقة الملونة فتعجب الجميع أن الاعتقاد السائد يقول أن قدرة المولود على الرؤية والمتابعة تبدأ بعد الشهر الثاني من عمره.

وبدأ العلماء تكرار هذه التجربة البسيطة المثيرة فظهرت الحقيقة، وهذه الحقيقة هي أن المولود بعيداً عن أحضان الأم يصبح غير قادر على أداء أي جهد يظهر خلاله قدراته ومن هنا لا يتحرك له جفن وهو بعيد عن أمه، أما في أحضانها حيث الإحساس بالأمن

والاستقرار فإنه على الفور يتصرف بكل سهولة مظهراً كمال قدراته على متابعة أي شيء متحرك أمام عينيه حتى وإن كان ذلك بعد مولده بيومين.

ومن هنا تتضح خطورة انتزاع الطفل المولود من جانب أمه ليعيش في حجرة أخرى بها العديد من الأطفال حديثي الولادة لأن هذا الطفل يحس بكل شيء ومن المؤكد أن المفيد له أن يبقى في جانب الأم شاعراً بحنانها الكامل ثم انتقل البحث إلى الأم ذاتها لقد تمت دراسة مقارنة بين الأم التي يبقى المولود بجانبها بعد الولادة وبين هذه الأم التي ترى مولودها لحظة الرضاع فقط كما وقد أكد البحث أن الأم التي يظل مولودها بجانبها تكون أكثر حناناً ورغبة في المولود بل لقد ثبت أن هذا الإحساس ينمو بمرور الأيام بشكل أوضح لأن الأم التي يبتعد عنها المولود تحبه وتحنو عليه ولكن في حالة الأم التي يبقى المولود بجانبها نجد أن الحب والحنان هنا يكون أقوى وأشد ويزداد قوة بمرور الأيام ويمكن أن تستعمل كلمة الارتباط هنا فمثل هذه الأم يكون ارتباطها أكثر.

دور الأسرة في التنشئة الاجتماعية:

تقوم الأسرة بعملية التنشئة الاجتماعية لإدماج الطفل في الإطار الثقافي العام عن طريق إدخال التراث في تكوينه، وتوريثه توريثاً متعمداً بتعليمه نماذج السلوك المختلفة في المجتمع التي ينتسب إليه، وتدريبه على طرق التفكير السائد فيه، وغرس المعتقدات الشائعة في نفسه، فينشأ منذ طفولته في جو مليء بهذه الأفكار والمعتقدات والقيم والأساليب، فلا تستطيع التخلص منها، لأنه لا يعرف غيرها، ولأنه يكون قد شب عليها، وتكون بدورها قد تغلغلت في نفسه، وأصبحت طبيعة ثانية له، أي أصبحت من مكونات شخصيته.

وتقوم الأسرة بعملية التنشئة الاجتماعية منذ سن المهد، وتبذل في سبيل ذلك جهوداً متواصلة لتشكيل شخصية الطفل، وترويض نزعاته ودفعها برفق نحو الملاءمة مع الواقع ومع المجتمع، ويكون الوليد في مبدأ الأمر فردياً ذاتياً إلى أقصى حد في كثير من الوجوه، بمعنى أنه يتمتع بامتيازات التلقائية الذاتية، ولا يتقيد بالقواعد والأنظمة، التي سوف تضغط عليه فيما بعد، فهو يقوم بعمليات الإخراج كلما أحس بتوتر في مثانته أو أمعائه، وهو يلعب بالطريقة التي تروقه، وفي المكان الذي يحلو له ويجتذبه، دون مراعاة عواقب أعماله بالنسبة لنفسه أو للآخرين، إلا أنه كلما تقدم في النمو، تحتم عليه أن يتخلى تدريجياً عن امتيازات انطلاقه وفرديته وأن يتعلم تحمل

مسؤولية أعماله،وهذا هو لب عملية التنشئة الاجتماعية، فبدلاً من أن يعمل ما يروقه، في الوقت الذي يروقه، وبالكيفية التي تروقه عليه أن يراعي سلامته وسلامة الآخرين، وأن يعمل وفق نظام معين، بحيث تنسق أفعاله مع أفعال باقي أعضاء الأسرة.

ومن أهم ما يتعلمه الطفل في الأسرة خلال عملية التنشئة الاجتماعية الأمور الآتية :

1- المشي والفطام وضبط المثانة والأمعاء، والاستحياء الجنسي، وكف العدوان على الأخوة والأبوين والكبار، وذلك في معظم المجتمعات.

2- التعود على كف بعض الدوافع غير المرغوبة، أو الحد منها، ومما يجدر ذكره أن أكبر شطر من عملية التنشئة الاجتماعية، يتلخص في إقامة حواجز وعقبات ضد الإشباع المباشر للدوافع الجنسية والدوافع العدوانية، وهي حواجز لازمة لبقاء كل مجتمع، لهذا فهي توجد على نحو ما، حتى في أكثر الشعوب بدائية.

3- الالتزام بالعادات وطرق التصرف الملائمة والآداب الاجتماعية، هذا فضلاً عن اتجاهات معينة نحو الآخرين، ونحو المبادئ والسلطة ونحو الدين والأسرة، بالإضافة إلى

تعليم الذكور والإناث الأدوار المعينة التي يرسمها المجتمع لكل منهما.

4- الانضباط والتعود على التوقيت المنظم، أي القيام بأعمال معينة في أوقات معينة.

5- القيام بأدوار معينة محددة، أولها وأهمها ذلك الدور الذي يحدده جنسه، أي ما إذا كان ذكراً أو أنثى.

وبعبارة أخرى فإن الأسرة هي التي يزود الفرد بالرصيد الأول من أساليب السلوك الاجتماعية، وبذلك تزوده بالضوء الذي يرشده في تصرفاته وسائر ظروف حياته.

ففي الأسرة يتلقى الطفل أول درس في الصواب والخطأ والحسن والقبيح وما يجوز وما لا يجوز ،وما يجب أن يفعله وما يجب عليه أن يتجنبه، والسبب في تجنبه، وكيفية كسب رضا الجماعة، وكيفية تجنب سخطها وغضبها عليه.

فالأسرة هي التي تمنح الطفل أوضاعه الاجتماعية، وتحدد له منذ البداية اتجاهات سلوكه واختياراته، فهي تحدد له نوع الطعام الذي يأكله وكيف ومتى يأكله والملبس الذي يلبسه في كل مناسبة من المناسبات، كذلك تحدد نوع التعليم الذي يتعلمه، والمذهب الديني الذي يعتنقه،والميول السياسية التي يتبعها، بل إنها تحدد له أيضاً أنواع

النشاط وأساليب الترويح التي يمارسها، وأوقات ممارسته لها، والمدى الزمني الذي يستنفذه في ذلك.

وغنى عن الذكر ما لهذا الرصيد الزاخر بأساليب السلوك والعادات والقيم الاجتماعية، من أثر في حياة الطفل حالياً ومستقبلاً، فكل فرد يسير في حياته من مرحلة إلى مرحلة،وينتقل من دور إلى دور،ومن مركز إلى آخر، حاملاً معه رصيده الأول من العادات والقيم وأساليب السلوك الاجتماعية، ليهتدي به في مقابلة المواقف الجديدة التي تواجهه في سياق تفاعله مع مجتمعه الذي يعيش فيه.

وليس من المبالغة في شيء أن نقول إنه من النادر أن يواجه الطفل في مستقبل حياته بموقف جديد كل الجدة، يتطلب منه تكوين أنماط سلوكية جديدة كل الجدة، أو اتجاهات ليس لها أية علاقات بماضيه في أسرته وبخاصة في مرحلة الحضانة أي في السنوات الست الأولى من حياته.

وقد أجمعت تجارب الناس ودلت أبحاث العلماء على ما للتنشئة الاجتماعية في الأسرة من أثر عميق خطير، يقل دونه أثر أية منظمة اجتماعية أخرى في تشكيل شخصية الطفل وتنشئته الاجتماعية، وبخاصة خلال مرحلة الحضانة، وذلك لأسباب عدة،منها أن الطفل في هذه المرحلة لا يكون في الغالب وبصفة مسترسلة،خاضعاً لسلطان مجموعة أخرى غير أسرته، ولأنه يكون

سهل التأثر،سهل التشكل،شديد القابلية للإيحاء والتعلم،قليل الخبرة، عاجزاً، ضعيف الإرادة،قليل الحيلة،وفي حاجة دائمة إلى من يعوله ويرعى نموه وحاجاته العضوية والنفسية المختلفة.

ومع إجماع العلماء على أهمية الأسرة وأثرها العميق في تنشئة الطفل الاجتماعية، نراهم يحرصون على إبراز الأم كصاحبة الدور الرئيسي في عملية تنشئته المبكرة، ويؤكدون أشد التأكيد مركزها الجوهري بالنسبة للطفل، وبخاصة في السنوات الأولى من حياته.

فالأم نقطة انطلاق الطفل وحجر الزاوية في تطور نموه، وهي بالنسبة له المعين الأول لكل ما قد يحس به من حاجة، والكافلة الأولى لكل رغباته، وبما أن سد الحاجة تعني التخلص من التوتر وتبديد الطاقة المحشودة فيه، فإنه من الواضح أن يجلب لنفس الصغير الراحة والهدوء والأمن، وبما أن الأم هي الشخص الذي يلبي رغبات الطفل ويكفل حاجاته، وبالتالي يزيل عنه الألم والانزعاج، فإنها تصبح عنده المصدر الأساسي للذة والأمن والطمأنينة، كما تصبح مركزاً تدور حولها انفعالاتها، فهو يقلق ويغضب ويحزن، إذا غابت عنه أو أهملته، ويسر ويفرح ويطمئن برعايته وإشباع حاجاته.

وإن أهم شيء بالنسبة لصحة الطفل النفسية في المستقبل، كما يقول وول:"هو تنمية إحساسه بالأمن وتعزيز ذلك الإحساس وشعوره بأنه محبوب من أمه، مقبول منها في كل حين.

ومن الآراء المدعمة لهذا الرأي قول "جون بولبي": مـــن المعتقـد أن أساس الصحة العقلية،هو أن يخبر الطفل علاقة حارة وحميمـة ودائمـة بأمه (أو ببديلة لها تكون دائمة بمثابة الأم)، يجد كلاهما في هذه العلاقة الإشباع والمتعة، هذه العلاقـة المعقـدة المليئـة بـالخبرات وبـالجزاء الـتي يكونها الطفل مع أمه في باكورة حياته،والتي تأخذ أشكالاً لا حصر لها في تأثرها بعلاقته مع أبيه،وإخوته وأخواته هي مـا يعتقـد أطبـاء نفـس الطفل،وكثيرون غيرهم الآن، أنها تحدد نمو الخلق والصحة العقلية.

ويزيد جون بولبي رأيه تأكيداً فيقول في مكان آخـر : أصـبح مـن البين الآن أن (الرعاية الأمومـة) في بدايـة الطفولـة والطفولـة المبكـرة شيء أسـاسي للصحة العقلية، وذلـك اكتشاف يمكن مقارنـة أهميته بأهمية دور الفيتامينات للصحة الفيزيقية، كما جـدواه عظيمـة للوقايـة من أعتلال الصحة العقلية".

والأم لا تقـدم الغـذاء والوقايـة مجـرد فقـط، بـل تقـدم معهـا بالضرورة العطف والمحبة والحنـان،وإذا كـان إهمـال الغـذاء والنظافـة والحماية، كثيراً ما يؤدي بالطفـل إلى المـرض (أو إلى الهـلاك في بعـض الأحيان)فإن إهمال الطفل وحرمانه من العطف والحنان والمحبة، غالباً ما يهدد كيانه بالخطر،لأن الحرمان العاطفي،الذي يسميه "جـون بـولبي" الحرمان مـن الأمومـة كـالجوع، لا يمكـن للطفـل أن يتغلـب عليـه أو يتحمله دون أن يصيبه منه الضرر، وتختلف الآثار الضارة للحرمـان في

درجتها، فالحرمان الجزئي يصحبه القلق والحاجة الملحة إلى الحب والمشاعر القوية بالانتقام،وينتج عن تلك الأخيرة الشعور بالإثم والاكتئاب، والطفل الصغير الذي لم يكتمل بعد نضجه العقلي والانفعالي،لا يستطيع أن يقاوم كل هذه الانفعالات والدوافع،وقد تؤدي طرق استجابته لكل هذه الاضطرابات في حياته الداخلية إلى أمراض عصبية ونقص في ثبات الخلق، أما الحرمان التام، فإن تأثيره على نمو الخلق يكون أعمق،وقد يعوق تماماً قدرة للطفل على إقامة علاقات مع غيره من الناس.

وقد قارن "سبتز" سلوك الأطفال في مؤسستين، كانت تعني في إحداهما، أم كل طفل بطفلها،في حين كان أطفال المؤسسة الأخرى يلقون عناية ضئيلة من موظفات مرهقات بالعمل، فوجد أن نسبة نمو أطفال المؤسسة الأولى استمرت على مستوى مرتفع، بينما تضاءلت نسبة تطور نمو أطفال المؤسسة الثانية، وعندما فصل الأطفال عن أمهاتهم، أصبحوا يميلون إلى الكآبة والتعاسة، وكانوا غالباً ما يبكون ويرتعشون في أثناء فترة الفصل،حتى إذا ما عادت الأمهات إليهم بعد فترة قصيرة،ظهر التحسن في نسبة تطور نموهم،أما عندما طال غيابهن، فقد كانت استعادة الأطفال لمعدل نموهم ضعيفة.

ويماثل البحث السابق مقارنة قام بها "جولدفارب GoldFarb" بين مجموعتين من الأطفال إحداهما كان أطفالها قد وضعوا في مؤسسات

منذ ولادتهم حتى سن الثالثة والأخرى كان أطفالها يعيشون في منازل بديلة أثنان تلك الفترة، فوجد أن مشكلات السلوك بين أطفال المؤسسات وهم بين السادسة والثانية عشرة من عمرهم كانت أكثر كثيراً من مشكلات الأطفال الآخرين.

وهناك اتفاق في الرأي بين الأخصائيين في نمو الأطفال وصحتهم النفسية، على أن السنوات الثلاث الأولى،هي أخطر مراحل النمو تأثراً بالحرمان العاطفي عن فراق الأم للطفل أو بعدها الطويل عنه لأي سبب من الأسباب،أما في السنة الرابعة وما يليها، فإن الطفل يكون قد بدأ يشعر بوجود الآخرين، ويتعرف عليهم، ويكون علاقات معهم،وبخاصة مع أبيه وأخوته، وأخذ يفرق بين نفسه وبين الكائنات الخارجة عن نطاق ذاته، ويدرك نوعاً ما شيئاً عن الوقت والزمن، ولذلك يستطيع في الغالب أن يتحمل إلى حين ابتعاده عن امه متطلعاً إلى عودتها ورجوعها وممتعاً النفس بالتسلية مع الآخرين ،والملاحظ أنه كلما كانت العلاقة حسنة وسليمة بين الأم والطفل زاد ذلك من قدرته على أن يتحمل الافتراق عنها – إلى حين – بأمان وبصحة وعافية.

فالطفل السعيد الذي يثق بحب أمه له، ويشعر بالطمأنينة من جراء ذلك، لا يحس بالقلق والخوف من فراقها الوقتي الجزئي له، ولا

يميل إلى تأويل غيابها عنه تأويلاً مقلقاً، كما يحدث عند الأطفال الـذين لا يلقون من أمهاتهم إلا الإهمال واللامبالاة والحرمان من العطف.

ومما هو جدير بالذكر في معرض الكلام عن دور الأم،وما له مـن أثـر بـالغ في صـحة الطفـل النفسـية وبخاصـة في السـنوات الـثلاث الأولى،أن فريقاً من العلماء بدأ يدعو بشـدة وحـرارة إلى بـذل الجهـود المستطاعة لتمـكين الأم العاملة خارج بيتها مـن تـرك عملـها والتفـرغ لرعاية طفلها خلال السنتين الأوليين على الأقل، ولو أدى ذلك، كمـا يقترح بعض الخبراء إلى منحها إجـازة بمرتـب، أو تعويضـها عـن تـرك عملها بمعاش معقول،يسد حاجـات الأسرة،يصـرف لهـا مـن الهيئـات المعنية بخدمة الطفولة، كهيئات الإغاثة مثلاً، بما عندها مـن مخصصـات لذلك، تعرف بأرصدة الإغاثة.

ومن العلماء المعروفين بحماسـتهم للـدعوة لضـرورة تفـرغ الأم العاملة لرعايـة طفلـها الرضـيع أجاثـا بـولي (Agatha Bowley) الـتي تقول : ومن الأمور الجوهرية لصـحة الطفـل النفسـية، أن تتفـرغ الأم لطفلها الرضيـع،وتمنحه معظـم وقتهـا خـلال السـنتين الأولـيين مـن حياته على الأقل، إن تـرك الطفـل لسـاعات طويلـة مـع الأقـارب أو الجيران أو في مركز من مراكز الرعاية النهاريـة لا يضـمن دائمـاً تمتعـه بالرعاية الدفيئة الثابتة التي يحتاجها.

ليس هناك شك في أن ظروفاً اقتصادية واجتماعية تضطر الأمهات أن يخرجن للعمل، ولكن ينبغي أن تتلافى الأم بقدر الإمكان، الخروج للعمل خلال السنتين أو السنوات الثلاث الأولى من عمر الطفل، ففي خلال عملي ومن خبرتي، كنت دائماً أجد أن الأطفال ذوي المشاكل النفسية هم الذين عانوا حرماناً عاطفياً كبيراً في طفولتهم المبكرة، بسبب غياب أمهاتهم الطويل في أعمالهن، ولا يخفي أن الأم بعد عودتها من عمل يوم طويل مضن، تكون في أشد حالات التوتر والتعب،مما يؤثر على تعاملها مع الطفل مزاجياً وانفعالياً.

ولقد أدت أهمية دور الأم في السنوات الأولى من عمر الطفل إلى حجب الدور الذي يقوم به الأب بعض الشيء،والطفل على كل حال، خلال الأشهر الأولى من حياته لا يشعر بأهمية الأب أو الإخوة،إذ ليس لهم دور وثيق الصلة به أو ذو علاقة مباشرة بلذته وآلامه،فليسوا هم الذين يطعمونه عادة أو ينظفونه أو يتعهدون له شئونه،أو يرافقونه طيلة الوقت ليداعبوه ويلاعبوه، وليس وجه أبيه هو أول وجه يطل عليه، إذا صرخ مستغيثاً من جوع وألم.

وعلى الرغم من ذلك،فإن الوليد في هذه المرحلة المبكرة من حياة الطفل دوراً عليه أن يؤديه بطريقة مباشرة في حياة وليده، ذلك أنه إذا أردنا من الأم تأدية واجبها على الوجه الأكمل،فما لا شك

فيه أن الضرورة تستوجب قيام شخص آخر بتأمين كل ما من شأنه أن يساعدها على ذلك، ويهيء لها الجو والإمكانات اللازمة لرسالتها المطلوبة، وليست مهمة الأب توفير المال الكافي والمسكن المناسب، وأسباب المعيشة الضرورية فحسب، لكي يصبح باستطاعة الأم أن تتفرغ تفرغاً تاماً لمهام الأمومة والتربية المبكرة،بل عليه أيضاً أن يتيح لها السبل المختلفة، لتأدية ذلك بدون عوائق أو حوائل،فيشعرها بأنه متفهم لمهمتها مقدر لجهودها وتحبها كما يحيطها بجو من التعاون والتعاطف، وبكل ما يوفر لها الأمن النفسي، فإن كان هذا سوف ينعكس على الطفل ويؤثر فيه،بل إن الطفل ليشتق أمنه من أمن أمه نفسها.

وما يكاد ينتهي العام الأول من حياة الطفل، حتى يأخذ اعتماده الكلي على أمه بالتناقص شيئاً فشيئاً، وفي الوقت نفسه يصبح الدور الذي يلعبه الأب مباشراً وأساسياً بصورة أكبر ، فهو في بعض الجماعات الشخصية بعيدة تمثل السلطة المثيرة للخوف، أو القوة المثيرة للإعجاب، وفي جماعات أخرى يمثل الأب الوديع الذي يلاعب أطفاله ويداعبهم، ولكنه لا يسهم إلا بقسط ضئيل في رعايتهم البدنية أو في العمل المنزلي ، وهو في جماعات ثالثة يمثل المطالب الاجتماعية والذهنية، ويكون مصدراً للتأديب، الذي يتفاوت ليناً وشدة.

ويقرر "رول" أن الاتجاهات الحالية، وخصوصاً في الحضارات التي تنحدر من اصل أنجلو – سكسوني، تسير نحو اشتراك الأب في كل صغيرة وكبيرة من حياة الأسرة، وكذلك يبدأ الأطفال في سن مبكرة جداً، في تأويل دورهم الجنسي في ضوء فهمهم لدور الوالد الذي من جنسهم كما يبدأون في الوقت نفسه إدراك العلاقات بين الجنسين ثم يميزها، بناء على ما يفهمونه عن حياة والديهم الزوجية، ومعنى ذلك أن اتجاهات الطفل نحو غيره من الناس، تنطوي في صميمها على اتجاهاته نحو والديه بالذات، وعلى إدراكه لاتجاهات كل منهما نحو الآخر.

وهنا يصح أن نلفت الأنظار إلى حقيقية هامة، وهي أن التغيرات الاقتصادية- الاجتماعية تؤثر تأثيراً مباشراً في جو الأسرة النفسي، ومثال ذلك عدم توافر المساعدة المنزلية في معظم البيوت واضطرار كثير من الأمهات إلى الخروج إلى العمل، والعزلة التي تعيش فيها كثير من الأسر العصرية، وصغر حجم هذه الأسر، وعمق العلاقات التي تنشأ في كنفها، كل ذلك من العوامل التي أدت إلى إشراك الأب بالتدريج في العمال المنزلية اليومية، ومن ثم عملت على تقريب آباء كثيرين من أطفالهم.

وفي السنوات الأربع أو الخمس بعد السنة الأولى، يلعب الأب والأفراد الآخرون في الأسرة، أدواراً مهمة في حياة الطفل وتنشئته

الاجتماعية، ذلك لنهم يؤلفون مع الأم الميدان الاجتماعي الأول الذي يحتويه،والذي يكون أساس خبراته الاجتماعية وتجاربه، وطرق سلوكه، كما يمثل أيضاً العادات والتقاليد السائدة، وهنا تصبح الأسرة بحق وبكامل أعضائها، المدخل الذي يدخل منه الطفل رحاب الحياة الاجتماعية، بكل أبعادها وأطرافها المترامية، وهنا يتزود بالعلاقات العاطفية وأسلوب السلوك والتعامل مع هؤلاء الأفراد،باللغة العاطفية والاجتماعية الأولى التي يستخدمها فيما بعد، في تعامله مع الآخرين.

وتتكون شخصية الطفل بما يكون لديه من إمكانات وقدرات وخصائص موروثة وفردية، وحسب العلاقات والارتباطات العاطفية والمشاعر التي يحس بها الطفل ساعة بعد ساعة، وفي ضوء خبراته المتراكمة على مر الأيام، والتي تنمو نتيجة تفاعله مع الآخرين داخل نطاق أسرته، ونتيجة رضا أفرادها عن سلوكه، ومدحهم إياه واستحسانهم لأفعاله، أو ذمهم إياه واستحسانهم لأفعاله، وهذه الشخصية هي التي تساعد على مواجهة متطلبات الحياة كفرد مستقل مسؤول، وتمنحه خصائصه المميزة وأسلوبه الخاص في التكيف والتخلص من التوترات الناجمة عن الحاجات التي يحس بها، بطريقة تمنحه الرضا دون قلق أو اضطراب.

كيف نساعد الطفل في علاقاته الاجتماعية ؟

ربما عادت من المدرسة وهي في حالة نفسية متعبة. ذلك أن صديقتها أقامت حفلة ولم توجه لها دعوة مع أنها كانت تعتبرها أفضل صديقاتها. فماذا يجب على الأم. في هذه الحال. أن تقول لها؟

الإنسان اجتماعي بالطبع، ومنذ نشأ الإنسان البدائي على هذه البسيطة، فقد بات يبحث عن رفيق له يؤنسه ويساعده في التغلب على مشكلات الحياة ومعالجة الظروف المحيطة به، ومع تقدم الحضارة، فقد تعقدت الحياة وضاقت مجالات الاختصاص، وأصبح الإنسان اكثر حاجة من ذي قبل إلى أخيه الإنسان، لكي يشاركه آماله وآلامه، ويخفف عنه شعور الوحدة الذي قد أصبح ظاهرة ملازمة لإنسان القرن العشرين.

وتظهر هذه السمة الاجتماعية لدى الأطفال منذ مرحلة مبكرة، ومع أن بعضهم يمضي حياته الاجتماعية بمرونة سهلة، وينطلق في علاقاته مع رفاقه في انسجام، إلا أن البعض الآخر يعاني من مشكلات تتعلق بالاتصال بالآخرين. ومن هؤلاء من يشعر بنقص في الثقة بنفسه، وخاصة إذا كان يعاني من مشكلة معينة، كما لو إذا كان بديناً قصيراً أو طويلاً بشكل غير طبيعي، فإنه في هذه الحالة يبقى مفتقراً إلى الثقة بالنفس، وهي أمر لازم للقدرة على الاتصال

بالآخرين. فإذا كان طفلك من هذا النوع. فكيف تستطيعين أن تساعديه؟

أو خطوة يجب أن تقومي بها هي التأكد من حقيقة وضع الطفل،وما إذا كان موقفه طبيعياً أو معبراً عن مشكلة في داخليته، فإذا لم يكن لدى الطفل أصدقاء. فيجب أن نتأكد من حقيقة شعوره خلال هذه الظاهرة. وما إذا كان سعيداً في عزلته أو منزعجاً منها.

ومن الخطوات التي يمكن أن تتخذيها في هذه الحالة أن تضعي الطفل في موقف آخر وتراقبيه بعد ذلك، واسألي نفسك هل عنده صديق واحد على الأقل ؟ هل علاماته المدرسية مقبولة؟ هل ينام جيداً ؟ وهل يتصرف بشكل طبيعي؟ فإذا كانت الأجوبة على هذه الأسئلة بالإيجاب، فذلك دليل على أن الطفل في حالة طبيعية.

ومع ذلك فإن المشاكل قد تنشأ بين الحين والحين، وكثيراً ما يعاني الأبوان من صعوبات جمة في معالجتها : ربما طفلة في الصف الرابع الابتدائي تعود من المدرسة وهي في حالة نفسية متعبة، فتسألها أمها: ما الأمر ما الذي يزعجك فتجيبها : لقد أقامت لميس حفلة، ولم توجه لي دعوة مع أنني كنت أعتبرها أفضل صديقاتي. فماذا يجب على الأم في هذه الحال؟ هل تقول لها: ما الخطأ في ذلك؟ علام كنتما تتناقشان؟ أم تقول لها: أنا لا احب لميس أبداً، أم تتلفن لأم لميس أو عليها أن تواسيها بعبارة مثل:لا تنزعجي للموضوع

كثيراً. فإن لديك كثير من الصديقات، أم أنها لا تفعل شيئاً على الإطلاق.

ربما كان اسلم أمر هو ألا تفعل شيئاً على الإطلاق، ولكن ذلك لا يمنع أبداً من ضرورة مشاركتها لطفلتها في مشاعرها، وبالمقابل لا يجوز أبداً أن تقلل من شأن المشكلة، وان الشيء الذي يجب على الأبوين أن يفعلان عندما يشعر الطفل بالأذى هو أن يعبرا عن إدراكهما للضرر الواقع عليه، وأن يؤكدا له وجودهما في حالة حاجته إليهما، ولكن ليس من السيئ أن يضطر الطفل إلى معالجة المشكلة بنفسه، وهو الأمر الذي يحصل في كثير من الأحيان بحيث أن الطفل يتجاوز مشكلته، ويتغلب على الآثار السلبية الناجمة عنها، وهذا ما يساعده على تعلم الطرائق المختلفة بمعالجة المشاكل الكبيرة والخطيرة فيما بعد.

ومن أن من المغري أن ينتقد الأبوان الصديق الذي قصّر بحق طفلهما، إلا انهما لا يجوز أن يفعلا ذلك أبداً، فإنك بانتقادك ذلك الصديق تعرض نفسك لنفس الموقف الذي يجد نفسه فيه من ينتقد أي طرف من الزوجين اللذين قررا الطلاق، وللسبب نفسه أيضاً،فإنهما قد يتصالحان، وتبقى أنت في الجانب الشيء من الموضوع، حيث انك انتقدت الشخص الذي يحبه، وعلى الأبوين أن يدركا أن المشاكل التي تقع بين الأصدقاء طبيعية تماماً، وذلك لأن الصديق

الذي يستطيع أن يدخل على القلب السرور يستطيع أيضاً أن يسبب له الألم، وهذا جزء طبيعي من النمو،وليس بإمكان الأبوين أبداً أن يجنبا طفلهما الحزن، وعندما يتداخل الآباء أو الأمهات في خلافات أطفالهما مع أصدقائهم دون أن يطلبوا منهم ذلك، فلن يتعلم الأطفال أبداً كيف يعالجون مشاكلهم بأنفسهم، علماً بان القدرة على حل المشاكل من عوامل النمو الضرورية للإنسان، وعلى كل فإن بإمكانك أن تساعد طفلك على تعلم مجموعة من المهارات المتنوعة المفيدة:

هيئي له الفرص الممكنة للتفاعل الاجتماعي،وهذا أمر مهم بشكل خاص عندما يكون الطفل صغيراً وحياته الاجتماعية قابلة للتعديل، بحيث يتوافر فيها الانسجام مع الآخرين، فبإمكان الأبوين أن يستغلا بعض المناسبات الخاصة لإقامة الحفلات التي تجمع أصدقاء طفلهما، بحيث يمكن التعرف عليهم وإقامة الصلات الوثيقة بهم.

شجعي المبادرات الإيجابية : يجب على الأبوين أن يعززا في طفلهم الثقة بنفسه والشعور باستقلاليته، وعلى سبيل المثال فلمساعدة الطفل الذي يتسم بالتبعية لغيره وانقياده لهم فيما يختارونه من أنواع اللعب والتسلية، فإنك تستطيعين أن توفري له جواً تشعرينه فيه

بهويته، كان يدخل غرفة تحتوي على عدة أشياء، وينتقي شيئاً ما مهما كان انتقاؤه متردداً، ثم تعلقي على اختياره بعبارات تشعره بذاتيته.

لا تصنفي طفلك ضمن صفة معينة: تدخل لمياء وهي طفلة في الرابعة من عمرها غرفة مزدحمة وتلقي نظرة خاطفة على الجمع المحتشد، ثم تختبئ خلف أمها. وعندئذ تربت أمها على كتفها بحنان، وتشرح الأمر للمضيفة، إن لمياء طفلة خجولة يلزمها وقت لتنسجم مع الآخرين ولكنها بعد ذلك تغدو طبيعية تماماً، ومع أن تفسير الأم لسلوك طفلتها صحيح، إلا أن كلمة 'خجولة' تترك آثارها السيئة في نفسها، فعندما نصنف طفلاً أنه خجول أو أنه مشاكس أو بغير ذلك من الصفات، فإننا نعرضه لخطر الانغلاق على نفسه ضمن تلك الصفة ، بدلاً من إعطائه من التشجيع والمعرفة ما يمكنه من تغيير سلوكيته، والأحرى بنا أن نعطيه قدوة حسنة للسلوك العملي، كأن تهيئ الأم نفسية فتاتها الصغيرة لمواجهة الموقف.

إن أهم دور يمكن أن يقوم به الأبوان في عملية تعليم طفلهما ممارسة العلاقات الاجتماعية السليمة ومبادئ السلوك الاجتماعي هو نفس الدور الذي نلعبه مع أصدقائنا أنفسهم، وذلك بالالتزام بالصدق والعمق وحرارة العواطف وتبادل المشاعر، ومن المراحل الهامة في التربية الاجتماعية للطفل أن نثق به وبأنه سوف يؤدي أطوار السلوك التي نتوقعها منه، والتي نرغب أن يقوم بأدائها بالفعل.

مدى كفاءة الأسرة في أداء دورها في تنشئة الطفل الاجتماعية :

في ضوء ما سبق أن ذكرناه عن نمو الطفل في سنوات الحضانة الست الأولى من عمره، وعن حاجاته الضرورية لنموه الجسمي والعقلي والوجداني والاجتماعي، وعن العبء الكبير الذي تتحمله الأسرة في تنشئته تنشئة اجتماعية سليمة، وتكوين شخصيته بأبعادها المختلفة تكويناً سوياً، يتضح لنا بشكل بارز مدى ما على الأسرة أن تتحمله من مسؤوليات، وتقوم به من أدوار، وتؤديه من التزامات، وفي زمان نشط البحث العلمي عن الطفولة، فكشف لنا عن جوانب كثيرة كانت غامضة، وقد تغيرت الحياة الاجتماعية في هذا الزمان تغيراً شديداً، أثر في بناء الأسرة وفي وظائفها وفي علاقات أفرادها بعضهم ببعض.

إن الأسر المعاصرة لا تستطيع وحدها بدون تعاون الأطباء أن تقي أطفالها من العدوى باستخدام الأمصال المختلفة، ولا يمكنها علاجهم من شتى الأمراض، ولا يتيسر لها بدون تعاون الهيئات التعليمية أن تقوم بتعليمهم العلوم المختلفة، وصرف الأوقات الطويلة في رعايتهم تربوياً ونفسياً واجتماعياً، ومما زاد عجز الأسرة عن أداء تلك الوظائف تغير القيم، وتغير نظرة الناس، نساء ورجالاً إلى الحياة ونعيمها، وبأنه يجب عليهم ألا يكرسوا كل حياتهم لأطفالهم.

بل أنه قد تبين أيضاً أن هذا الاتجاه مضر بالأطفال، مقيد لهم، مضعف لشخصياتهم، وهكذا نجد أنه قد ظهرت عوامل مختلفة كثيرة عاقت الأسرة ولا تزال تعوقها عن القيام وحدها بدورها كاملاً في تنشئة الطفل تنشئة تشبع حاجاته وتحقق مطالب نموه، وترعى تفتح شخصيته في كل مرحلة من مراحل نموها، وفيما يلي عرض وتحليل لأهم هذه العوامل المعوقة، وهي خروج المرأة للعمل، وشدة وطأة الأعمال المنزلية وسوء الأحوال السكنية والفقر وسوء التغذية، وجهل الأمهات بالتربية السليمة، وعدم ملائمة البيت لمتطلبات الطفولة:

1- خروج المرأة للعمل:

تخرج المرأة للعمل إما لتأكدي ذاتها وإثبات شخصيتها ورغبتها في الحفاظ على مستوى معيشة مرتفع، أو لأضطرارها للكفاح مع زوجها في مواجهة مشقة الأحوال الاقتصادية وغلاء الأسعار، بالحصول على قدر من المال يرفع دخل الأسرة أو لتحمل عبء الأسرة بمفردها إذا كانت هناك أسباب قاهرة تدعوها إلى ذلك، كانفصال زوجها عنه بالوفاة، أو الطلاق، أو المرض المزمن المقعد.

وخروج المرأة للعمل في حد ذاته ليس بالأمر الجديد عليها، فقد عملت المرأة من قديم الزمن في زراعة الأرض إلى جانب زوجها، ولكن الجديد بالنسبة لها وللمجتمع هو خروجها للعمل المنتظم

المتكرر ذي الفترة ليومية الطويلة، وشط جو منظم ومضبوط، يختلف تماماً عن جو العمل في الحقل أو في البيت، وقد دخلت المرأة الحضارية الميادين المختلفة، فهي تشتغل بالتعليم والطب والمحاماة، والهندسة والتجارة، والصناعة والوزارات والمصالح والهيئات والمؤسسات والشركات على اختلاف أنواع كذلك في شتى ميادين الخدمات والفنون.

وخروج الأم الحضرية للعمل على هذا النحو المنتظم المتكرر، وغيابها يومياً لساعات ليست بالقصيرة عن أطفالها، الذين ما زالوا في مرحلة الحضانة، يشكل لها من ناحية أطفالها مشكلة بالذات مشكلة تختلف كل الاختلاف عن مشكلة زميلتها الأم الريفية عندما تخرج للعمل في الحقل، بل إن الأم الريفية قد لا تشعر، في خروجها إلى العمل في الحقل بأية مشكلة على الإطلاق من ناحية أطفالها، ذلك لأن خروجها ليس منتظماً ولا دائماً ولا يومياً،بل يرتبط في الغالب بمواسم وأوقات زراعية معينة، هذا بالإضافة إلى ظروف عملها في الحقل، وسط الطبيعة في الشمس والهواء الطلق، تمكنها كثيراً من الأحيان من أن تأخذ معها رضيعها لتوالي رعايته وحمايته، وزيادة على ذلك فهي تستطيع لو شاءت، أن تحضر معه أخاً أو أختاً ممن يكبرونه، لمرافقته أثناء عملها في الحقل،فيلعبان على مقربة منها وتحت رقابتها، وإن هي أرادت أن تقتصر على أخذ رضيعها وترك اخوته الحضناء الصغار الذين يكبرونه فهي في هذه الحالة تكون مطمئنة إلى

عناية الأم أو العمة أو الخالة أو الجدة أو الأخت الكبرى أو غير ذلك من قريباتها، أو إحدى الجارات، التي كثيراً ما تكون قريبة لها،فطفل القرية عادة، فرد من عائلة أبوية ممتدة، الكل فيها مسئول عن الصغير، والكل فيها مستعد للمعاونة، والرقابة والحماية، وفي القرية يجد الصغير مجال أمامه مفتوحاً ليلاحظ الحيوان، بل ليلعب معه أحياناً، عن قرب بل ليجري وينطلق، فالمكان حوله رحب واسع ليصرخ ويغني، أو يقفز أو يتسلق، فهو لن يضايق أحداً لينقلب ويبحث، ويبني ويهدم، ويجرب ويشكل، فمواد اللعب الطبيعية متوافرة، الرمل والطين والماء والخشب وغصون الأشجار، كل ذلك في بيئة خالية من المخاطر الشديدة، مع أقران من سنه نفسها،يشتركون معه في ميوله ذاتها، وسط الكبار الموجودين حوله وقريباً منه في كل مكان، وهم جميعاً على استعداد لتوجيهه وإرشاده والإسراع لنجدته، عندما يتطلب الأمر ذلك، ونستخلص من ذلك أن البيئة الريفية المبسطة المحددة النطاق، والتي لم يعقدها ويربك نسيجها تيار التغير الاجتماعي والتحضر والتصنيع بيئة تتيح للطفل إشباع الكثير من حاجاته، حتى إذا تغيبت أمه عنه في الأحيان فترات قصيرة.

أما طفل المدينة فهو فرد من أسرة مستقلة منعزلة، يعيش في أغلب وقته في مسكن صغير بين جدران الحجرات الضيقة، حيث مجال اللعب محدود في اغلب الأحيان، بل إنه كثيراً ما يكون متعذراً في كثير من الأماكن الحديثة في المدن، وهي شقق صغيرة ضيقة مليئة

بالأثاث، ورغبة الطفل في البحث والتنقيب والتجريب فيما حوله من الأشياء تقيدها رغبة الكبار في المحافظة على أثاث البيت و أدواته وصيانتها من العبث، وفي حب المحافظة على المسكن ونظامه، وهذه أمور لا تثير في نفس الصغير إلا الضيق والتوتر والضغط والشعور بالحرمان، لأنه لا يستطيع أن يدرك الأسباب الداعية لها،أما في خارج البيت فالبيئة صاخبة خطرة، بل إن خطرها ليتفاقم ويشتد، إن هو ابتعد عن البيت، وكثيراً ما يتعذر عليه من اتصال بغيره من الأطفال، أو حتى بالكبار، إلا في حالة وجود خادمة قد تكون قاسية غير ودودة، أو مهملة لا تعيره أية أهمية، لأنها بعيدة عن رقابة والديه الغائبين، كل منهما في عمله، وحتى إذا افترضنا كونها من أولئك الودودات المخلصات، فإنها لجهلها وعدم معرفتها برغبات الأطفال وأصول التعامل معهم، لا بد أن تقع في أخطاء تسيء إلى نفسية الطفل تؤثر في سلامة سلوكه، هذا فضلاً عما يعانيه الطفل نفسه من حرمان نفسي لطول غياب أمه وأبيه عنه في عملها، وغيب اخوته الأكبر في مدارسهم.

2- شدة وطأة الأعمال المنزلية :

وانشغال الأم المرهق بإدارة منزلها،كثيراً ما يكون من العوامل المعوقة لها عن إشباع بعض حاجات الطفل ورعايته الرعاية الكاملة، فالأم كزوجة وربة بيت يقع عليها عبء واجبات التنظيم والتدبير

لحياة الأسرة، من إعداد الطعام وتنظيف المسكن والأثاث وغسيل الملابس، وغير ذلك من مطالب الحياة المنزلية اليومية فضلاً عن العناية بشؤون الأطفال الشخصية وشئون الزوج، ومعنى هذا أنه قلما يكون عندها باق من الوقت أو الحيوية والجهد، أثناء أو بعد عمل اليوم المضني لتتفرغ لأطفالها، والتفرغ الحقيقي، الذي يمكنها من بذل العناية الواجبة، فتعطي كل ذي حق حقه في إشباع حاجاته الجسمية والعقلية والنفسية.

والحقيقة أن هناك عدداً من الأمهات يستطعن التوفيق بين مسؤولياتهن نحو المنزل ونحو لطفل، ولكن هؤلاء أقلية صغيرة، أما الأغلبية العظمى منهن، وبخاصة من ينجبن عدداً كبيراً من الأطفال،فتنوء كواهلهن بحمل أعباء الأسرة، وبخاصة في المدن،حيث يشتد تيار التغير الاجتماعي والتكنولوجي، وما يقترن به من عوامل تتضافر كلها على إرهاق الأم، عندما تحاول التوفيق بين القيام بأدوارها الاجتماعية كزوجة وكأم وكربة بيت، ومن أهم هذه العوامل، العزلة الاجتماعية والتباعد الفكري اللذان تعيش فيهما كثير من الأسر العصرية عيشة فردية استقلالية بعيدة عن الجيران والأقارب، محرومة من عونهم ومساعدتهم، وهناك عامل آخر تجابهه الأم في المدينة في الوقت ذاته، وهو قلة خدم المنازل بسبب اتجاههم إلى العمل في المصانع كما سبق أن ذكرنا،وفي سوط هذا الحرمان من العون والمساعدة، يصبح من العسير على الأم،أثناء قيامها بأعمالها

المنزلية، أن تقابل حاجات أطفالها الصغار المتلاحقين في الميلاد، ولاشك في أن الأوضاع الجديدة لا ينتج عنها إلا إرهاق الأم وتوترها، وهذا ينعكس بدوره على أطفالها وعلى زوجها فيسود التوتر جو البيت، ويؤدي ذلك إلى عرقلة نمو الطفل الوجداني ويمتص نشاطه وحيوته.

وإذا كان ذلك هو حال الأم التي لا تخرج إلى العمل، وإنما تقبع في بيتها، وتدبر شؤونه وشئون زوجها و أطفالها،فإن حل الأم التي تخرج للعمل جد مرهق لها ومربك لأحوالها، إن الأم التي تخرج للعمل لا تستطيع أن تتحرر تماماً من أعباء بيتها ومطالب زوجها وأطفالها، ولكنها تجمع بين الدورين، دورها كزوجة ومدبرة بيت وأم، ودورها كمشتغلة خارج بيتها لها عمل عليها أن تؤديه خير أداء، والزوج في هذه الحال إذا لم يكن متعاوناً متسامحاً، فإن ذلك يزيدها إرهاقاً وتوتراً، فإذا ما انعكس ذلك على الأطفال، فإن الحالة تزداد سوءاً ويصبح جو البيت مزعجاً بالنسبة إليهم.

3- سوء الأحوال السكنية :

ومما يعيق الأسرة أيضاً عن تأدية وظيفتها في تنشئة أطفالها سوء الأحوال السكنية، فهناك أسر تعيش في مساكن مزدحمة، وشديدة الجلبة والضوضاء، رديئة التهوية، وغير متصلة بالمرافق الصحية، ولا يخفى ما تسببه هذه الأحوال من أضرار للأطفال في سنوات نموهم

الرقيقة، فهي تحول دون نومهم الهنيء وراحتهم الكافية، وتسبب لهم الإرهاق والتهيج والتوتر، وكثيراً ما تقتضي الظروف في المسكن الضيق أن ينام الأطفال مع الوالدين في حجرة واحدة، مما قد يعرضهم لخبرات تؤذي نفوسهم وتمرض شخصياتهم، هذا فضلاً عن انهم يكونون عرضة للعدوى ببعض الأمراض، وقد ثبت أن هناك علاقة مباشرة بين سوء الأحوال السكنية، وتعثر النمو واعتلال الصحة، بدليل أن نسبة التعرض للأمراض ونسبة الوفيات في الأحياء الشعبية المزدحمة تزيد عنها في الأحياء الراقية.

هذا بالإضافة إلى أنه بسبب الازدحام في السكن وضيقه يلجأ الأطفال إلى الشوارع، كثيراً ما يشجعهم آباؤهم على ذلك تخلصاً من مضايقاتهم، فينطلقون للعب فيها دون رقابة من أحد ، وغني عن الذكر أن الشارع لا يصلح إطلاقاً لأن يكون ملعباً، لاعتبارات صحية ذوقية وجمالية وخلقية، فهم بذلك يتعرضون لأخطار التربة والقذارة وميكروبات الأمراض، كما يتعرضون لأصحاب السوء وحوادث المواصلات، وقد سبق أن أشرنا إلى ارتفاع نسبة المصابين بحوادث الطرقات بين الأطفال في مرحلة الحضانة.

وربما يكون غريباً بعض الشيء أن نعلم أن كثيراً من أسس الطبقة المتوسطة، والأسر المقتدرة على وجه العموم، لا تستطيع هي الأخرى أن توفر للطفل في سكنها، المساحة الرحبة المناسبة لحركته

وانطلاقه ولعبه، ولكن وجه الغرابة يتلاشى، إذا نحن تدبرنا ما حدث بسبب التغير الاجتماعي الناجم عن ذلك التغير الكبير في الأحوال السكنية، الذي حدث نتيجة ازدحام المدن بسكانها، نتيجة الزيادة الطبيعية من جهة أخرى، وقد وضع هذا التغير كثيراً من القيود على حرية الأطفال، وزادهم شعوراً بضغوط الحياة أو حرمانها وتوتراتها فمعظم مساكن الطبقة الوسطى والراقية كانت متسعة، كبيرة الغرف، رحبة الأفنية، وكان الأطفال يشعرون في هذه المنازل بالحرية والمرح، وكان يكثر في منازل الحيوان والطيور،التي تخصص لها أماكن يتيسر للطفل مشاهدتها أو اللعب معها عن قرب، فيكتسب من اتصاله بها خبرات كثيرة، تسهم في نموه وإشباع حاجاته من وجوه عدة، وإذا لم يكن بالمنزل فناء فقد كان في أعلى المنزل سح متسع آمن،يربى فيه الحيوان وتكثر فيه أدوات اللعب، التي ينفس الطفل بواسطتها عن طاقاته الزائدة و الحبيسة.

أما في الوقت الحاضر فقد حلت العمارات في المدن محل البيوت وصار المسكن الحديث محدود الغرف،وأصبحت كل غرفة مزدحمة بالأثاث الذي يخشى عليه من الكسر أو الاتساخ من أيدي الأطفال. هذا فضلاً عن وجود أجهزة وأدوات يخشى على الطفل منها إذا عبث بها كموقد البوتاجاز، والمكواة الكهربائية، والتلفزيون، والمروحة الكهربائية، وليس للطفل عادة مكان للعب أو الحركة، فإذا رفع صوته نهروه، وإذا قفز آخذوه، لأن سكان العمارة

متحفزون للشكوى ضد صخب الأطفال، ولن الوالدين يشعران بالالتزام بكثير من القيود والاعتبارات محافظة على راحة الجيران، وهكذا نجد أن الأطفال في هذه المساكن العصرية، هدف مستمر لرقابة الكبار وكثرة أوامرهم ونواهيهم، وان رغبات الأطفال في تعارض حاد متواصل مع رغبات الوالدين، وتلك، بلا شك، حال تسبب وتزيد من التوتر النفسي عند الأطفال.

ونتيجة ذلك كله هي مزيد من فرض القيود على الطفل، وهي قيود كثيراً ما تشعره بأنه غريب في منزله، وثقيل على أمه وأبيه، وقد يترتب على ذلك شعوره بشيء من القلق لإحساسه بأنه غير مرغوب في وجوده واحب الناس لديه، الأمر الذي يؤثر في اتجاهاته الوجدانية العامة.

هذا من ناحية المساكن الخاصة فإذا نحن فكرنا في الحدائق العامة والمتنزهات، لكي تعوض هذا النقص وتفتح مجالاً لانطلاق وسعادته الحقيقية باللعب، فإنها نجدها قليلة نسبياً وإن وجدت فليس كلها على مقربة من المنازل، وكثيراً ما يتطلب الوصول إليها سيراً طويلاً، وسط الصخب والزحام، أو ركوب مواصلات قد لا يتسنى للأم الفقيرة القدرة على تحمل اجرها، وحتى إذا كانت بعض الحدائق العامة قريبة، فإن معظم الأمهات قلما يجدن الوقت الكافي لاصطحاب أطفالهن إلى الحديقة والبقاء معهم فترة تشبع ميلهم المتأجج للعب

والنشاط، وبخاصة في الصباح، فترة انشغال كل أم إما بعملها أو وظيفتها خارج المنزل، أو بعملها كربة بيت داخل المنزل.

4- الفقر وسوء التغذية:

ومن الأمور التي تعيق الأسرة في تعهد أطفالها، فقرها الذي لا يمكنها من توفير الغذاء الصحي الكافي في مقداره، المتزن في نوعه المتكامل من حيث توافر العناصر الأساسية فيه،من النشويات والدهنيات والبروتينيات الحيوانية والنباتية، والفيتامينات والأملاح المعدنية. وقد عرفن في الفصل الرابع،أن الغذاء إذا كان غير كاف في مقداره أو غير متزن في تكوينه وغير ممثل للعناصر الأساسية المذكورة. كانت له نتائج ضارة على صحة الطفل الجسمية وسلامته النفسية، إذ يعرضه بصفة دائمة أو مؤقتة أو متقطعة وقد تبقى آثار المرض ملازمة له طول حياته فضلاً عن أنها تضعف مناعته وقدرته على المقاومة بصفة عامة.

وعلى الرغم من أن الفقر هو السبب الأساسي الذي يؤدي إلى انتشار أمراض سوء التغذية، فإنه ليس بالسبب الوحيد، فإننا نجد كثيراً من الأسر غير الفقيرة لا تعرف المبادئ الأولية لحاجات الأطفال الغذائية، ولا للقيمة الغذائية للمأكولات والأطعمة العادية، فقد تقدم الأم لطفلها طعاماً كافياً من ناحية كميته، ولكنه ناقص من ناحية مكوناته الغذائية، وتكون النتيجة أن يتعرض الأطفال لمراض سوء

التغذية الكساح والبلاجرا،فليست العبرة في التغذية الصالحة بتوافر الكمية فقط، بل بتكاملها من الناحية الغذائية أيضاً.

وهناك عوامل أخرى كثيرة تؤثر آثاراً سيئة في تغذية الطفل من أهمها النوم غير الكافي، وتقييد حرية الطفل في اللعب والحركة، وعدم إتاحة الفرصة له للخروج الكافي للفسحة والاستمتاع بالهواء الطلق، وكثرة تعريضه للصراعات والأزمات الانفعالية، وهذا كلها عوامل ليست قاصرة على أسر المحدودي الدخل من السكان، بل توجد أيضاً كلها أو بعضها بين بعض الأسر الميسورة والمقتدرة مادياً والتي كثيراً ما يعتل أطفالها من سوء التغذية.

5- جهل الأمهات بالتربية السليمة:

إن جهل كثير من الأمهات (والآباء) بصفة عامة بمطالب النمو وإشباع حاجات الطفولة وعدم معرفتهم الأساليب السليمة في تربية الأطفال، يوقعهم من غير قصد في كثير من الأخطاء التي تؤثر على أطفالهم أسوأ الأثر من ناحية صحتهم الجسمية والنفسية، فتسبب في إصابتهم بالأمراض أو سوء توافقهم ومعاناتهم لكثير من مشاكل السلوك التي تلازمهم طوال حياتهم.

فإن كنا ندهش كثيراً، أن يعهد إلى شخص غير مدرب أو غير فني بان يقود سيارة، فما اعظم دهشتنا عندما نرى الأطفال، تلك الآلات البشرية الدقيقة، في عهدة وتحت رعاية من لا تعرفن معرفة

صحيحة مطالب نموهم وحاجاتهم، وبخاصة في السنوات الانطباعية الأولى، التي سيبنى مستقبلهم كله، إن تنشئة الطفل الاجتماعية في مرحلة الحضانة ليست بالأمر الهين.

كما قد يتبادر إلى أذهان كثير من الناس، أنها لأشق بكثير من عمل الذين تصر على تخصصهم، ولا تجيز لهم ممارسة المهنة، إلا إذا اعدوا لها الإعداد الصحيح، ثم اثبتوا كفاءتهم باجتياز امتحانات معينة، إن الطبيب البشري لا يعالج المرضى إلا بعد تخصص في جسم الإنسان و أدواته، والبيطري لا يعالج الحيوان إلا بعد أن يتسلح بالعلم عن الحيوان وأمراضه، ومع ذلك فإن الأمهات والآباء يقومون بتربية أولادهم بدون تدريب ما، وبدون دراسة ما، وبدون إعداد وتأهيل، والشائع دائماً أن الأمهات ينشان أطفالهن بغريزة الأمومة، أو بعبارة أخرى بما عندهن من حب طبيعي نحو صغارهم، ولكن الحب وحده لا يكفي لتربية الطفل التربية الصحيحة، فالحب لا يمكن أن يقوم مقام العلم أو يعني عنه، ولا يمكن لظروف حياتنا الحديثة، أن يستطيع الوالدان بالحب وحده، مواجهة حاجات الطفل ومطالب تربيته الجسمية والنفسية والخلقية السليمة.

فالحب بدون العلم كثيراً ما يكون ذا أثر خطير في تكوين شخصية الطفل، إذ قد يبالغ الوالدان في حبهما للطفل إلى حد الإسراف في تدليله، وتنفيذ كل مبا يريده، والتجاوز عن أخطائه

وتشجيعه على الأخذ دون عطاء، وعلى أن يخدم دون أن يخدم ويتعاون، وذلك ينشأ أنانياً، محباً لنفسه، ميالاً إلى الاتكال على الغير، فالتدليل يخلق من الطفل شخصاً هياباً يضيق بأهون المشكلات، ولا يطيق مواجهة الصعوبات، كما أن التدليل يضعف ثقة الطفل بنفسه، ويميت فيه روح التفرد والاستقلال، ويخلق في نفسه على مر الزمن الصراع بين الاعتماد على الغير والرغبة في تحرير وتأكيد الذات.

غير أن جهل الأمهات والآباء لا يظهر في تدليل الطفل والتغاضي عن أخطائه فحسب، بل يظهر أيضاً في صور كثيرة أخرى، كعدم المعرفة بمتطلبات النمو السليم في مراحله المختلفة، أو سوء التصرف مع الأطفال الذي يبلغ حد الإهمال أو النبذ أو القسوة الشديدة في بعض الأحيان بدعوى أن ذلك يجعل منهم رجالاً أقوياء وأمهات شديدات في المستقبل.

ومما هو جدير بالذكر، أن جهل الأمهات بتربية الأطفال، كان أمراً من الأمور التي تنبه لخطرها على شخصية الطفل، كثير من الفلاسفة والمربين من قديم الزمن، فأخذوا يقترحون الاقتراحات لتلافي هذا الخطر بأساليب مختلفة، ومن أوائل هذه الاقتراحات، اقتراح أفلاطون الذي أوضح في "جمهوريته" أنه من مصلحة الطفل أن يؤخذ من أبويه، ويوضع تحت رعاية "مربيات" يتقن فن تربية الأطفال، ويشبه رأي أفلاطون في أخذ الطفل من أبويه لرعايته رعاية متخصصة

اقـتراح 'القـديس أوجسـتين' (Saint Augastine) المتضـمن في قولـه 'أعطني أمهات غير هؤلاء، أعطك دنيا أخـرى تختلـف عـن هـذه' أمـا 'بستالنـزي'فكان رأيه مخالفاً، فهو لم يـدع إلى تـرك الأمهـات يعمهـن في الجهالة، وأخذ الأطفال مـنهن، ووضـعهم في مؤسسـات تحـت رعايـة مربيات ماهرات مأجورات، فإن هذا الإجراء، في نظـره يصـلح بصـفة خاصـة في حالـة اللقطـاء والمشـردين ولـذلك فإنـه يـدعو إلى تعلـيم الأمهات،وتـدريبهن في فـن التربيـة، كمـا يـدعو إلى تحسـين أحـوالهن المنـزلية.

ولا شك في أن هذا الاتجاه هو الاتجاه السليم، الـذي تـدعو إليـه نظريات تربية الطفـل في احـدث وامثـل صـورها، فلإصـلاح يتحقـق بمحاولة تمكين الأسرة من تأدية وظيفتها الطبيعيـة في التربيـة الصـالحة، وذلك بتوعيتها في فهم حاجات الأطفال، وبإزالة العقبات من سـبيلها، وفي هذا المعنى يقول آرنولد جزل" وخـير القـوى وأفعلـها الـتي يمكـن إطلاقها في سنوات الإنشاء من جديد التي لا تـزال أمامنـا لكـي تحقـق هذا التحسين والتكميل (فتربيـة الأطفـال) هـي الاشـتداد في المحافظـة على نمو الحضناء والأطفال الصغار، وصيانة هـذا النمـو ممـا يعوقـه أو يعبث به، وهو أمر يتوقف على ما نهيئه من وسائل وترتيبـات سياسـية واقتصـادية مواتيـة، ولكـن هـذه بـدورها تتوقـف علـى المعلومـات والمعارف، كما تتوقف علـى الآمـال المرتقبـة، الـتي مصـدرها التقاليـد الرحيمة الإنسانية، وكـذلك الفنـون والآداب والـدين، فـلا سـبيل إلى

صيانة الصحة العقلية للأطفال، ولا إلى أن نجعل من هذه الديمقراطية، بحق طريقاً شعبياً أصيلاً، إلا إذا أقحمنا على بيوت الشعب وفلسفة نمائية بالطفولة ورعايتها، تقوم على البحث العلمي وتمتد جذورها فيه، ولا شك أن الناضجين من الرجال والنساء حين يبذلون جهداً اعظم وأشد دأباً وصموداً واكثر إخلاصاً، لكي يفهموا الأطفال سيزداد بذلك فهمهم لأنفسهم ولرفقائهم في الإنسانية.

6- عدم ملائمة البيت لمتطلبات الطفولة :

من العوامل المعوقة للأسرة على إشباع حاجات الأطفال وحسن رعايتهم، أن البيت، في غالب الأحيان، يصعب عليه أن يهيئ للطفل البيئة المادية الصالحة المكيفة كلياً لمطالب الطفولة، والتي تلائم تماماً قدراته المحدودة، وتتناسب مع صغر جسمه، وسرعة حركته، فبيوتنا بصفة عامة، معدة إعداداً غير محسوب فيه حساب الطفل وحاجاته، بل إن إعدادها يجعلها أكثر ملاءمة لحياة الكبار منها لحياة الصغار، ونحن لا ننكر أنه من المستطاع أن يخصص للطفل أثاث يناسبه مثل سرير صغير، وكراسي صغيرة، ومنضدة صغيرة، ودولاب صغير، ولكن هذه حلول جزئية، لا تغير إلا تغيرات طفيفة في الصفة الرئيسية للبيت كمسكن للكبار الراشدين أولاً وآخراً.

فهو مسكن يحتوي على الكثير من الأشياء التي تخص هذا أو ذاك من الكبار، والتي تكون محرمة على الطفل أن يقربها أو يلمسها،

فللوالـد كتبـه وأوراقـه ومكتبـه ومكتبتـه، وللوالـدة ماكينـة الخياطـة وأدواتها، وللإخوة الكبار أدواتهم الخاصة المدرسية والمنزلية، والطفل بالطبع لا بد أن يتعلم كيف يحترم ممتلكـات الآخـرين، ويحـافظ علـى النظافة والنظام، ولكننا في الوقت نفسه، يجـب أن نعـترف بـان الطفـل الذي يقضي وقته يوماً بعد يوم، في جو كهذا كـثير المحرمـات، لا بـد أن يشعر بكثير من الضجر والتوتر.

والواقع أن الطفل في البيت العادي يقابل كثيراً مـن الصـعوبات، فهو لا يجـد دائمـاً الزمالـة والصـحبة المناسـبة، فـالأم والأب يكبرانـه بكثير، وإن تفرغا إليه مرة، انشغلا عنـه مـرات، وإن اسـتمتعا باللعـب معه في قليل من الأحيان، تبرما من نشاطه في كـثير مـن الأحيـان، وإن صبرا عليه بعض الوقت فهما لا يستطيعان ذلك طوال الوقت.

وإذا ترك الطفل الصغير والديه وشانهما وأراد التجول في منـزله إشـباعاً لميلـه للحركـة والنشـاط، وجـد العقبـات في طريقـه، فمعظـم الأشياء وقطع الأثاث حوله اكبر منه حجماً، فهو لا يستطيع دفعهـا أو جذبها أو رفعها إن " أكرَ" الأبواب في الغالـب، إمـا عاليـة عـن متنـاول يـده، وإمـا جافـة بشـكل لا يمكنـه مـن تحريكهمـا، كـذلك الكراسـي والأرائك كلها في الغالب مرتفعة ارتفاعاً يضطره إلى أن يتسلقها حتـى يستطيع الجلوس عليها، وعندما يجلس علـى الكرسـي العـادي تكـون رأسه في الغالـب أعلى من المائدة قليلاً، وحتى إذا جلس علـى كرسـي

أعد خصيصاً له، و أراد أن يطعم نفسه، فإن الأمور لا تسير بحريته، وتبعاً لرغبته، وحسب سرعته الخاصة، بل بسرعة الكبار، ورغبات الكبار وضغطهم عليه، واستعجالهم إياه، فبدلاً من أن تترك الأم صغيرها يتدرب على الأكل بإطعام نفسه على راحته وبطريقته الطفلية، مستمتعاً بقدرته على الاستقلال والاعتماد على النفس، تتدخل هي لتفرض عليه تناول الطعام بالشكل الذي تختاره، فتطعمه بنفسها، مستعجلة إياه في تناول الملعقة تلو الملعقة، بشكل يضطره للبلع السريع، قبل التمكن من المضغ الجيد وبالمشي يحدث تدخل الأم في كثير من النشاطات الشخصية، التي يجب أن يمارسها الطفل بنفسه، مزهواً بقدرته على الاستقلال، والتشبه بالكبار،كارتداء الملابس، وربط الأحذية، وتمشيط الشعر ، وغسل اليدين والوجه، وغير ذلك فكثيراً ما تضطر الأم لكثرة مشاغلها وضغط الظروف المحيطة عليها، ورغبتها في توفير الوقت وإنجاز الأمور، أن تقوم هي بعمل الشيء،قاطعة استرسال الطفل فيه، بدلاً من أن تتركه يعمله بنفسه، من أوله إلى آخره، فيكتسب الخبرة كاملة غير منقوصة، وبالتالي يكتسب العادات الطيبة التي تثبت بالتدريج، وإن تدخل الأمهات– الذي يحدث، في الغالب، رغماً عنهن وتحت ضغط الظروف المحيطة بهن– على هذا النحو في نشاط الأطفال الصغار وسلوكهم، ليؤخر كثيراً من نضجهم، ويحد من نمو قدراتهم ومهاراتهم، فضلاً عما يسببه

لهـم مـن ضـيق وتـوتر، ويعـبرون عنهمـا بالعنـاد و الانفجـارات والانفعالية في كثير من الأحيان.

وليس معنى هذا، أننا ندعو إلى ترك الصـغير يعـيش كمـا يشـاء، وأن يكون البيت مكيفـاً تمامـاً لرغباتـه وقدراتـه، فالبيـت كـان دائمـاً، وسيبقى دائماً، أساساً وقبل كل شيء، مؤسسة للراشدين الكبار، كمـا أننـا لا نطلـب مـن الوالـدين أن يعطـلا شـؤونهما ويتخليـا عـن مسؤولياتهما المتعددة، ليتفرغا تفرغاً تامـاً للعنايـة بالطفـل، فـإن ذلـك يتعارض مع طبيعة مجرى الأمور في حياتنا، وإن كل ما نود أن نؤكـده، هو أن الأوضاع الطبيعية للبيت العـادي، كمـا صـورناها آنفـاً تعرقـل بالضرورة، وإلى حد لا يستهان به، شغف الطفـل بـالتعلم والكشـف، وولعه بالانطلاق والحرية في نشاطه ولعبه، وبعبـارة أخـرى، فـإن عـالم البيت عـالم للكبـار، ولا يمكـن أن يكـون عالمـاً للطفـل يـوفر لـه كـل متطلبات الطفولة السعيدة والنمو الأمثل.

وعندما نتدبر دور الأسرة المتغيرة المعاصرة في تربية أطفالها تربيـة أخلاقية وتعويدهم الانضباط والغيرية والاعتـدال، نجـد أنـه لم يصـبح من القوة بالدرجة التي يتصـورها مـن لا يعـير هـذه الظـاهرة اهتمامـاً عابراً، ولقـد شـغل دور الأسـرة في التربيـة الأخلاقيـة بـال كـثير مـن العلماء الغربيين،وكان 'أوجيست كونت' أول عالم من علماء الاجتمـاع يكتب في وظائف الأسرة، ويرى أن التربية الأخلاقية من أهم وظائفها

الرئيسية، التي يمكن أن تقوم عليها التربية الدينية والاجتماعية التي تجعل من الفرد مواطناً فاضلاً، يوضح ذلك مؤكداً أنه يجب على الأسرة تنبيه الروح الاجتماعية في أطفالها وترويضهم على أن يكونوا مواطنين فضلاء، وتعويدهم على تحقيق التوازن في ذاتيتهم بين مختلف الملكات الناشئة، والاعتدال بين الأنانية والغيرية، وقد خالفه في ذلك 'اميل دوركايم' الرائد الثاني لعلم الاجتماع في الغرب، لأن الأسرة الفرنسية في آخر القرن التاسع عشر و أوائل القرن العشرين، كانت قد تغيرت تغيراً واضحاً عنها في أيام 'كونت' ولذلك أكد 'دوركايم' في محاضراته في التربية الأخلاقية، أن اثر الأسرة في ذلك ضعيف، ويوضح رأيه فيما يتعلق بالانضباط بقوله : "وذلك لأن العنصر الأساسي في روح الخضوع للنظام، وهو احترام القاعدة، لا يمكن أن ينال حظه من النمو في الوسط العائلي، ذلك لأن أفراد الأسرة يجدون من الطبيعي جداً أن يتمتعوا فيما بينهم بشيء من الحرية والتبسط، وهم لذلك يتبرمون بفكرة التحديد الصارم.

والواجبات العائلية تتسم بطابع خاص، وهو أنها لا تثبت نهائياً في شكل قواعد محددة يجب أن تطبق دائماً بحذافيرها، ولكنها عرضة لأن تميل مع تنوع الطبائع وظروف الحياة داخل نطاق الأسرة، وتتأثر باختلاف الأمزجة وبما يبرمه الأعضاء فيما بينهم من اتفاقات تهدف إلى تيسير الأمور على كل منهم بباعث المحبة والألفة، وإن حاجة الشعب الفرنسي منذ حوالي سبعين سنة إلى الانضباط وبعض

السمات الأخرى كالغيرية والاعتدال، لتشبه حاجة الشعب العربي في أيامنا هذه إلى تلك الأخلاق العلمية لتصبح من سماته القومية المميزة.

ويقودنا الحديث عن عجز الأسرة في القيام بتربية أطفالها تربية تعودهم على التخلق بأخلاق تفيدهم وتفيد مجتمعهم إلى تدبر مدى ما تستطيع كل أسرة تنفيذه من مطالب الدولة بخصوص تربية الأفراد تربية تعودهم العادات التي تتوافق مع العقائد التي تتبناها سواء كانت الاشتراكية أو الرأسمالية، والجماعية أو الفردية، والديمقراطية أو الدكتاتورية، والتكافؤية والتمايزية، أو عجزها فيعزى ذلك من غير شك إلى الأسباب التي ذكرها 'دوركايم' والتي أوردناها آنفاً، وقد عوض عجز الأسر في أداء هذه الوظيفة دور الحضانة، التي أصبحت كثير من الدول تعتمد عليها في تربية الأطفال التربية التي تراها صالحة لتدعيم مبادئها وتحقيق أهدافها القريبة والبعيدة، وهذا ما سنحاول توضيحه مع بعض النقاط الأخرى في الفصل التالي.

تلك أهم العوامل التي تعوق الأسرة عن تهيئة الوسط المناسب والرعاية الواجبة لتنشئة الأطفال تنشئة سليمة، وإشباع حاجاتهم المختلفة، إشباعاً يحقق النمو السوي، من الناحية الجسمية والعقلية والاجتماعية، كما اشتدت وطأة التغير الاجتماعي والتطور الاقتصادي، زاد المجتمع تعقداً، وزاد بالتالي أثر العوامل للأسرة عن

القيام بمهمتها في رعاية الأطفال، وأصبح عجزها في هذه المهمة وفي تنشئتهم التنشئة الاجتماعية المرغوب فيها واضحاً لا يماري فيه أحد.

مشاكل الطفل الاجتماعية

مساعدة الأم لطفلتها يجب أن تبدأ باكراً. لأن تلك المساعدة تكون عوناً أساسياً لها عندما ستدخل المدرسة في أول خروج لها إلى.. المجتمع.

كل الأطفال يمرون بمراحل عدة من استصغار الذات، وذلك عندما تأخذ بالتضخم،في أعينهم، نقائصهم الجسمانية الصغيرة، وعندما يأخذون في تخيل عقم الميزات الطيبة التي يتحلون بها، وفي حين أن الوالدين يكون بوسعهما في كثير من الأحيان بذل عدد من المعونات لمساعدة الطفل على تخطي هذه المراحل بأمان إلى شاطئ السلامة، إلا أنه لا وجود لحل سريع لمثل هذه المشكلة.

وترجع صعوبة إيجاد مثل هذا الحل السريع، إلى حقيقية عملية بناء الذات والوصول إلى التقدير العالي لها في عيني صاحبها، ليست بنت ساعتها أو فترتها الزمنية القصيرة، وإنما هي عملية مستمرة تدوم طوال العمر.

إن عملية بناء الذات عملية ينبغي للطفل نفسه أن ينهض بها، لا أن يترك لغيره فحسب النهوض بها عنه، ومهما بالغ الوالدان في

إزجاء النصح والإرشاد، فإن مهمة تحسين الصورة العامة للفرد، هي في المقام الأول من عمل الفرد نفسه، وعلى الطفل ذاته أداؤها.

كيف تساعد الطفلة؟

إن مساعدة الأم لطفلتها على أن تنظر إلى نفسها نظرة استحسان واحترام، تبدأ منذ بواكير الطفولة، إذ إنه كلما صعّدت الطفلة ناظريها إلى أمها، وكان رد الأم على نظرات الطفلة بنظرات مثلها مفعمة بالحنان والحب، فإن هذا التراشق المتبادل بلغة العيون معناه أن الأم تقول لطفلتها : إنك تعنين لي الشيء الكثير وأنا مغرمة بك، وكلما تعثرت قدم الطفلة وسقطت على الأرض، فأنهضتها أمها من كبوتها وقبلت مكان الخدش لتلطيف حرقته، فإن هذه اللفتة الحانية من الأم تعني للطفلة شيئاً واحداً :إن كل عضو من أعضاء جسمك يعنيني!.

وتنقضي أيام الطفولة وتكبر الطفلة قليلاً، وعندما يصبح لآراء أقرانها وقريناتها في الصف الدراسي، أهمية خاصة، وفي هذه المرحلة تكون المساعدة التي تسديها الأم لطفلتها هي إلباسها الملابس النظيفة ومساعدتها على الانسجام مع زميلاتها بالمدرسة ومصادقتهن.

وإذا وجدت الطفلة صعوبة في استرضاء زميلات الصف والانخراط في ألعابهن، فإن الأم بمقدورها مساعدة على اصطفاء صديقة أو صديقات لها، يتمتعن بنفس مزاج طفلتها ويحببن ما تحب،

وقد تأخذهن الأم معاً في نزهة قصيرة أو تشركهن في ألعاب طفلتها، وذلك تمتيناً للرابطة بينهن.

إلا أنه بالرغم من كل المحاولات التي يمكن أن تبذلها الأم في هذا السبيل، فإن طفلتها يمكن أن تعترضها بعض المشاكل بين حين وآخر، عندما تعمق نظرتها إلى داخل مشاكلها وتأخذ في التساؤل(ولو بصمت) عن كل أمر يتعلق بها: كأن تكتشف مثلاً أنها أطول أو أقصر من المعتاد أو أسمن أو أخف من زميلاتها أو أن العبارات التي تنطق بها لا تحدث أثراً في نفوسهن، وما شابه ذلك، وفي هذه المرحلة بالذات تبرز قيمة المساعدة التي تبذلها الأم لطفلتها وطمأنتها إياها إلى أنها تحبها وتعجب بها.

وإذا لم تأت استجابة الطفلة سريعة لهذه المحاولات،فإن على الأم أن تتعمق في تحريها عن أسباب رفض الطفلات لطفلتها،إن الأطفال أذكى وأقرب استجابة وأقوى فهما مما يظنه الكثيرون، وإذا شعر الأطفال بأن طفلاً آخر من زملائهم عميق الاكتئاب فإنهم سرعان ما ينفضون من حوله.

أصدقائي لا يحبونني !

وقد تبرز إلى السطح أحياناً مشكلة تجعل الطفلة تبوح لأمها بأنها ".. قبيحة إلى حد ينفر زميلاتها منها" وهذه المشكلة يمكن أن تطل برأسها في كثير من مراحل الطفولة- ويكون ذلك في أغلب الأحيان

عند اجتياز الأسرة فترة صعبة حرجة من فترات حياتها، وكثيراً ما يحدث مثل هذا الموقف عندما تكون الطفلة على مشارف مرحلة البلوغ، وهذه المرحلة من مراحل حياة الطفلة (الطفل) هي أكثر المراحل ازدحاماً بمشاعر انتقاص الذات واستصغارها.

المساعدة الذاتية ضرورية كذلك

لا شك في أن هناك أموراً تستطيع الطفلة الاضطلاع بها لمساعدة نفسها، ولكنها مع ذلك لا تفعلها ! إن الطفلة بوسعها العناية بنظافة جسمها وترتيب ثيابها مثلاً، أو أن تتناول بعض العلاجات والعقاقير الباهضة التكاليف التي وضعت بين يديها لمعالجة بعض الحالات لديها، ولكنها لا تقوم بذلك، أو أن بوسعها ممارسة بعض الألعاب الرياضية أو الامتناع عن تناول الأطعمة السريعة الرخيصة، غير أنها لا تفعل ذلك، وفي هذه الحالات يكون الذنب فيها ذنبها.

غير أن نفور الطفلة من بعض أشكالها، هو صور لانعكاس مشاعر عميقة من تفحص الذات، وعلى الأم في هذه المرحلة أن تتفهم حقيقية ما يعتمل في دخيلة طفلتها من مشاعر الإحباط والتساؤل الكثير.

ثابري ولا تفقدي الأمل

ومع أنه قد يبدو للوالدين أحياناً أنه لا نفع في كل قول يقولانه أو عمل يؤديانه لمساعدة طفلتهما على تجاوز مثل هذه الأزمات، إلا أن ذلك لا يعفي الوالدين من الاستمرار في محاولة التركيز على حسنات الطفل بدلاً من التلبث عند زلاته ونقائصه.

عندما تأخذ الصغيرة في استصغار شأن نفسها، فعليك أن تعملي فكرك قبل أن تتحدثي إليها، فالطفلة في هذه المرحلة تكون شديدة الحساسية إزاء ردود الفعل التي تصدر عن والدتها، وعلى الأم أن تحرص على تجنب كل لفظ أو إشارة يزيدان من ألم طفلتهما، بدلاً من التسرع في بذل النصائح وإصدار الأوامر، تذرعي بالصبر وفكري في الكيفية التي تستطيعين بها مد يد العون إلى صغيرتك، قارني بين الماضي القريب والحاضر وسائلي نفسك : هل هذه أزمة تعرفينها عن صغيرتك من قبل، أم أنها أزمة جديدة؟ ادرسي مشاعرك أولاً : هل كنت كثيرة الانتقاد لطفلتك في الآونة الأخيرة؟ هل سعيت ووالد الطفلة إلى وضعها تحت ثقل ضغط شديد لجعلها تلبي أحلامكما عنها؟ هل كنت مسرفة في تشدان الكمال معها؟ قد لا تكون الطفلة عندها في حاجة إلى فيض من النصائح و الإرشادات، بل إلى نظرة عطف أو لمسة حنان فحسب.

شجعي جو التواصل

عندما تبدي الطفلة تلميحاً يوحي بالرغبة في التواصل والمكاشفة الكلامية فاغتنمي هذه الفرصة واقترحي عليها موعداً تنفردان فيه بنفسيكما وتتبادلان ما يطيب لكما من أحاديث، وقد تقول الأم لطفلتها عند ظهور هذه البادرة : "حبذا لو سمعت منك المزيد حول هذه النقطة، ما رأيك في تناول غداء منفرد في مطعم أو متنزه لاستكمال الحديث عنها؟ بوحي لي كل ما تضمرين من هذه الجهة، إنني أريد أن أفهم، وأنا أعلم أن من الصعب على فتاة في مثل سنك أن تواجه ظروف هذه المرحلة". احترمي أراءها التي تبوح بها ولا تنسي أن مهمتك في هذه الحالة هي أن ترشديها إلى الصواب، لا أن تحددي خطوط التعديلات التي تريدينها أنت، لأن ذلك يضع على كاهل الصغيرة عبئاً جديداً في الوقت الذي تريد أن تتحرر فيه من الأعباء وأخيراً شاركيها في التصدي لنفس المشاكل التي سبقت لك مواجهتها وأنت في مثل سنها.

قضية عائلية

كثيراً ما يغيب عن الوالدين في مثل هذه المواقف أن أخوات الطفلة واخوتها يمكن أن يكونوا مصدر عون لشقيقتهم، والتئام شمل الأسرة كثيراً ما كان مناسبة طيبة لمعالجة هذه المشاكل، وربما استهلت الأم الجلسة العائلية قائلة، مثلاً : "إن أختكم أو أخاكم، يواجهان

ظروفاً عصيبة، فهل تظنون أننا كأسرة، نستطيع مساعدتها للخروج منه؟ ثم تتوالى الصغيرة أو الصغير عرض مشاكل هذا الظرف بكلماتها، وعندها يقوم أفراد الأسرة (واحد بعد الآخر) بعرض وجهات نظره وكيفية الخروج من المأزق وتعداد خصال الصغيرة أو الصغير الطيبة، فالصغيرة أو الصغير في هذه الحالة يستشعران اهتمام أفراد الأسرة بهما، ويشعر أفراد الأسرة بالتالي، بمسؤولية.

واجب الصغيرة تطوير احترامها لذاتها

في حين أن القبول من لدن الأقارب أو الأنداد، ضروري إلى حد كبير لتحسين صورة الصغير في عيني نفسه، إلا أن الجانب الأكبر من احترام الذات يأتي من داخل الصغير أو الصغيرة، إن الوالدين والأقارب والأصدقاء يستطيعون مساعدة الصغير على مواجهة الانتقادات، وإيجاد الوسائل الكفيلة بتحقيق التبدلات الممكنة في هذا السبيل.. غير أن المضي قدماً نحو تحقيق الأهداف المرجوة، هو من اختصاصه هو، إذ أنه محتاج إلى أن يضع في يديه زمام المبادرة.

ومهما بلغ مقدار العون المقدّم إلى الصغير من الناس كافة، فإن عليها هي وحدها أن تواجه صخب الانتقادات والمضايقات وأن تقمع كل علامات الضعف والأسى في دخيلة نفسها، وأن تكون عصية على الغضب وكراهية الآخرين.

الصداقة ودورها في
التنشئة الاجتماعية

الصداقة ودورها في

التنشئة الاجتماعية

تطفو الدلائل الأولى للصداقة عند الطفل في مراحل عمره المبكرة، والطفل الدارج البالغ من العمر عامين فقط قد يقبس روح الصداقة من طفل آخر يماثله سناً قبل أن يعي معنى هذه الكلمة.

ونحن جميعاً نحب ولا شك أن ينشأ أطفالنا محبوبين ومحببين، سريعي الاندماج بالمجتمع، فإذا لاحظ الوالدان أن طفلهما محب للانطواء على نفسه والابتعاد عن معاشرة أقرانه بالمدرسة مثلاً، أو إذا اكتشفا أن طفلتهما في المدرسة غير ودودة ولا محبوبة،فعندها تقرع في المحيط الأسروي أجراس الإنذار المبكر.

لكل إنسان منا ولا ريب ذكريات دافئة عن أصدقاء الطفولة، وبمقدار ارتفاع رتبة الصديق الصغير في قلب صديقه، تبرز صورته بين الفينة والفينة ويراها أوضح من صور كثيرة من آلاف الزملاء الذين يختلط بهم دائماً على مقاعد الدراسة بدءاً من صفوف رياض الأطفال وانتهاء بمراحل البلوغ والجامعة

مراحل الصداقة

وتدل الدراسات التي أجريت على هذه الناحية من نواحي الطفولة أن الطفل يمر بسلسلة من المراحل التطورية، وقد لوحظ أن الأطفال لا يمنحون صداقتهم ومحبتهم جزافاً، ولا ينغمسون فوراً في

صداقات حميمة، وكما أن الطفل منذ سن الرضاعة حتى الكبر يمر بمراحل عديدة من التطور الجسماني، فكذلك صداقته تمر بمراحل شبيهة، فهم في أول الأمر يرون في أصدقاء اللعب كيانات نفسية، وتكون نظرتهم إليهم في أول الأمر من منظار "الأنا" وبعد ذلك يصبحون قادرين على الشعور بوجهة نظر الآخرين، والإدراك بأن الزملاء من حوله "ربما" كانوا مختلفين عنه ومع أنه لا وجود لسن معينة يبلغها أحد الأطفال في مرحلة ما من مراحل تطوره، إلا أن علماء النفس لا يختلفون في أمر وجود سلسلة من التطورات يتبعها سائر الأطفال.

ولو سئل طفل في الرابعة من عمره مثلاً عن السبب الذي يحبب إليه طفلاً آخر، فلربما كان جوابه التقليدي عن هذا السؤال "لأنه يلعب معي" أو "لأن عنده ألعاباً كثيرة" وهذه هي المرحلة الأولى من الصداقة عند الطفل : مشاركته في اللعب، دونما حاجة بالضرورة لأن يلعب معه، وهذا النوع من صداقات الأطفال هو ما يطلق عليه علماء النفس اسم "الصداقة الآنية". وهي في هذه السن التي تتراوح بين الثالثة والسابعة من العمر، لا تعد ديمومة التلاقي بين طفل وآخر، علامة على التعلق والود، وإنما ربما كانت تمليها معيشة الأسرتين متجاورتين، وفي هذه المرحلة من العمر لا تكون مفهوم الصداقة تقوى على مغالبة الأيام، ولو أن الطفلين يتلازمان بحكم الجوار سنوات وسنوات.

ثـم ينتقـل الطفـل في التطـور إلى المرحلـة التاليـة بـين الرابعـة والتاسعة من العمر، وفي هذه المرحلة يصبح الطفل مـدركاً لمـن حولـه من الناس عالماً بأن أولئك الناس قد يختلفون عنه في نمط التفكير وقـد أطلق علماء النفس على هذه المرحلـة " الطريـق الأحـادي للمسـاعدة " والصغار في هذه المرحلة لو سئلوا عـن أسـباب صـداقتهم لفـلان مـن الزملاء لأجابوا بأن الصديق الذي يفعل أمـوراً لا تـروق لـه، غـير أن الأطفال عندها لا يدركون بأن العلاقة بـين الشخصـين تتطلـب تبـادل المأخوذات والمعطيات.

إن فهم طبيعة الأخذ والعطـاء هـو تطـور هـام في حيـاة الطفـل الاجتماعية، وهذا الفهم يحدث بين سـن السادسـة والثانيـة عشـر مـن العمر، والأطفـال في هـذه المرحلـة يـدركون بـأن الصـداقة طريـق ذو دربين يعالج حاجات ورغبات اثـنين مـن الأشـخاص، غـير أن فكـرة المقابلة بالمثل في هذا السن تظـل فكـرة أساسـية جـداً تتنـاول أحـداثاً محددة ولا تعنى بأمر الصداقة ذاتها.

وفيها يقوم الطفل بالتعاون مع زميله على أساس تبـادل المنـافع، ويأتيان بأمور على أساس المنفعة المتبادلة. ومن سـوء الحـظ أن الطفـل في هذا العمر يستخدم معرفته الجديدة استخداماً سلبياً، ففكـرة المقابلـة بالمثـل تتحـول عنـدها إلى المفهـوم التـالي، : إذا ضـربتني فسـأرد لـك الضربة...

ولا يكون الصغير قادراً على تفهم الصداقة باعتبارها أمراً راسخاً مستديماً قبل أن يدنو من سن المراهقة أو يدخلها، وعندها يعلم أن فردين من الناس ذوي شخصيتين مستقلتين عن بعضهما يتعلمان على التعاون فيما بينهما، وفي هذه المرحلة من المخادنة المتبادلة يكون الطفل بين التاسعة والخامسة عشرة من عمره، قادراً على التطلع إلى علاقة الصداقة من بعد الشخص الثالث، فالأصدقاء في مفهومهم يتبادلون المشاعر ويتعاونون عل مشاكل بعضهم بعضاً، ويتقاسمون السراء والضراء، ويطمئنون إلى كتمان الأسرار المتبادلة ويعتقد بعض علماء النفس أن التطورات التي تحدث في هذه المرحلة هي مفتاح العلائق بين الأفراد في مرحلة البلوغ.

إن تمازج التجارب والنضج هو الذي يقود الصغار إلى هذه المرحلة الجديدة من العمر، فإذا كان أحد الصديقين ماهراً في الرياضيات مثلاً وأسدى يد العون إلى صديقه الضعيف في هذه المادة، فعندها يبدو جلياً أن الزميل الآخر لا بد أن يساعده على فهم مادة أخرى لا يتقنها الأول.

إن هذه المرحلة من مراحل الصداقة هي التي تضع أساس صداقة وثيقة، ولكي يشعر الأصدقاء بالثقة من متانة صداقتهما إلى حد الإحساس بأن الأسرار التي يتبادلانها لن يطلع عليها الآخرون،ولكي يشعروا بأنهما مقبولان لبعضهما بعضاً بغض النظر

عن نوع الصفات التي يتصفان بها، فلا مناص من أن تكون صداقتهما حميمة خاصة.

إن خصوصية هذه المرحلة تفسح المجال للمرحلة النهائية من مراحل التطور وهي مرحلة الاعتماد المتبادل على شخصين مستقلين، وذلك بعد سن الثانية عشرة من العمر، وفي هذه السن يفهم الصديقان أن عليهما أن يمنحا بعضهما بعضاً دعماً عاطفياً قوياً ومع ذلك لا يسمحا لبعضهما بتطوير علائق مستقلوياً ومع ذلك يسمى لبعضهما بتطوير علائق مستقلة، فاحترام حالتي الاستقلال وتبادل الاعتماد بين الصديقين معارضتهما وأسباب قلقهما من هذه الصداقة، فإذا شعر الصغير بقوة شخصيته وقدرته على مواجهة الأمور واتخاذ القرارات الصائبة فعندها يستطيع مواجهة تلك الأمور واتخاذ تلك القرارات، فالمرجح أن يسير الصغير وفق القيم والمبادئ التي يتبعها الوالدان ذاتهما.

مواجهة خسارة صديق

إن الناحية السلبية في هذه المسألة هي ذلك الألم الذي يشعر به الوالدان والصغير نفسه إذا شعروا بأن زملائه يرفضون زمالته، ومثل هذا الرفض كثير في العلائق بين الصغار، وهناك أسباب جمة تفضي إلى حدوث جفوة وتباعد بين الأطفال الصغار، فأهواء الأطفال يلحقها التبدل عندما يكبرون. ويبلغ الأطفال مرحلة النضج بطرق

شتى تجعل من الصعب أن تستمر الصداقات بينهم طوال مرحلة الطفولة.

إلا أن تعلم الصغير كيفية مواجهة خسارة صديق من أصدقائه، هو في مثل أهمية اكتسابه الأصدقاء، ومن المهم أن يعترف الوالدان انهم يشاطرانه الألم بسبب فقده لأحد أصدقائه، فهذا الفقد مؤلم حقاً ولا سبيل إلى إنكاره، ثم يشجعانه بعد ذلك على اكتساب أصدقاء جدد واجتياز المرحلة الانتقالية بين الحالتين، وإذا كانت هذه المساعدة على تخطي تلك المرحلة ضرورية، فإن من المهم مع ذلك ألا يحاول الكبير فرض آرائه ومشاعره وأحكامه على الصغير، وما قد يعتبره الكبير خسارة جسيمة، وربما لم يكن له هذه الأبعاد الكبيرة بالنسبة للطفل، وكثيراً ما يلاحظ الوالدان كيف أن أحد أطفالهما يصاب بصدمة عنيفة عند خسارته أحد الأصدقاء يوماً، وكيف أنه بعد انقضاء يومين أو نحوها على هذه الخسارة يستطيع أن يجد صديقاً يعتبره خير أصدقائه.

ومع ذلك فقد تقع في علائق الطفل أحداث متطرفة تبعث على الأسى فعلاً وتفقد الوالدان والطفل كل بُعد، كأن يكون الطفل عاجزاً تماماً عن التكيف مع أقرانه حتى يصير عرضه على الدوام للأذى والإساءة إليه.

ولكن هذه حالات نادرة وما لم تقع هذه الأحداث والحالات النادرة فإن من الخير للوالدان أن يهدآ ويسترخيا ويتركا لطفلهما أمر العثور على أصدقاء جدد ويستشرف كل مفاهيم الصداقة بخيرها وشرها.

وأخيراً فإنه يجب ألا يغيب عن بال الوالدان في كل الأحوال أن الأطفال يختلفون اختلافاً بيِّن حسب قدراتهم الاجتماعية، فهنالك أطفال ميالون بطبيعتهم إلى الوحدة والانفراد، ولكن غيرهم منفتحون على من حولهم وما حولهم شديدو الرغبة في الاختلاط بالآخرين بسهولة، ولا بأس في أن تتباين الأهواء والميول، والوالداث يفهمان طفلهما أكثر مما يفهمه أي إنسان آخر، فإذا رأيا أن طفلهما سعيد بحالة من الحالات ويرضيه أقل القليل من الحياة الاجتماعية، فعليهما في هذه الحالة أن يقاوما كل قلق قد يخامرهما بسبب ذلك.هو على ما يبدو من الأمور الأساسية لدوام الصداقة، وعندما يبلغ الصغار هذه المرحلة المزدوجة من صداقتهما، فإن الصداقة عندها تكتسب نفس الصفات التي تتسم بها صداقات الكبار.

توقعات غير واقعية

فماذا ينبغي أن يعني هذا للوالدين؟ على الوالدين أن لا يقلقا بسبب صداقات صغارهما، ويجب عليهما أن يأخذا في الحسبان أبعاد الصغير ومرحلة تطوره هو، لا أبعاد الوالدين ومراحل تطورهما.

والحقيقية هي أن الصداقة عند الطفل هي العلاقة التي يجب على الوالدين أن يظلا بمنجاة منها فلا يتدخلا إلا إذا وجدا أن طفلهما يتعرض فعلاً لأذى نفسي، فليس بمقدور الوالدين أن يدربا أطفالهما على مصادقة من حولهم، و الأطفال يستطيعون أن يتدبروا أمورهم من هذه الناحية تدبراً طيباً بدون تدخل الوالدين في الأمر.

فوائد الصداقة

إن ما يكسبه الطفل بسبب الصداقة أكثر بكثير مما يبدو ظاهراً على السطح، فالصداقة الفعلية أكثر من زمالة وبهجة، ففي المراحل الأولى للصداقة يتعلم الأطفال كيف يعالجون الاختلافات في الرأي، وهم يتعلمون كيف يناقشون ويتحاورون ويتوصلون إلى حلول وسط، إنهم يتعلمون كيف يخلقون النظام فيما بينهم بدون أن يلجأوا إلى الكبار.

كما أن الصداقات بين الأنداد تسمح للصغير بأن يُكَوِّنُ لنفسه مفهوماً خاصاً عن ذاته عن طريق المقارنة، والصداقة تمنح الصغير شعوراً بالانتماء للجماعة، والواقع أن الجماعة تمد يد العون للصغير الذي يطل على فترة الاستقلال في حياته عن أسرته، وفي حين أن قوة ضغط الرفاق على الصغير قد تثير الوالدين وتخرجهما عن طورهما أحياناً، فإن هذه الفترة في التعرف على الذات الذي تولده روح الجماعة، هي التي تسمح للصغير بأن يتكيف مع التأثير الجماعي،

وهكذا فإنه يستطيع أن يوجد توازناً بين نزعته الاستقلالية ومتطلبات الحياة الاجتماعية.

الإحساس بالأمان

إن هذه هي الأمور التي لا يستطيع الصغار اقتباسها من الوالدين أو من الأشخاص الكبار، أما ما يجب أن يحصل عليه الصغير من والديه هو الإحساس بالأمان، فأساس للصداقة عند الصغير هو أن تكون علائق طيبة مع والديه، وإذا كان الصغير واثقاً من والديه محترماً للنظام عارفاً لما يجوز له توقعه، فعندها يتولد لديه أساس راسخ ينطلق منه لتكوين صداقات.

إن سياسية ابتعاد الوالدين عن أمور صداقات طفلهما قد تكون سياسة طيبة نظرياً، ولكن الوالدان يجدان أن من الصعب عليهما تطبيقها لا سيما إذا ما شعر الوالدان أن صغيرهما يصادق أشخاصاً لا يرغبان له أن يصادقهم، ولكن يمكن القول بوجه عام أن صداقات من هذا الطراز لا تعمر طويلاً، في حين أن الوالدين قد لا يحبان أصدقاء صغيرهما، إلا انهما قد يجدان نفسيهما في وضع جديد في الشهر القادم، فقد دلت الأبحاث النفسية على أن الأصدقاء ميالون إلى الموافقة على المبادئ التي ينادي بها الوالدان فيما يتعلق بالقيم الأساسية.

وإذا لاحظ الولدان أن صغيرهما يختلط بأشخاص سيئين، فمن الحكمة ألا ينفردا بالزجر والتحريم، بل عليهما أن يتباحثا مع الصغير في أمر هذا الاختلاط، وعن طريق المناقشة يستطيعان إفهام الصغير علة عدم رغبتهم بمصادقته.

علموا الصغار حسن الاختيار

لمساعدة الصغار على مقاومة ضغط الأصدقاء ينبغي أن يتعلموا كيف يفضلون خياراً على خيار، وأسلوب تصرف على أسلوب تصرف.

أن يتعلموا معنى كل خيار، وما يسفر عنه من مضار ومنافع.

إن معالجة الخطوة خطوة يفكك عملية اتخاذ القرار بطريقة يسهل على الصغير فهمها وإدراكها.

1- علموا الصغار أن الخيار حق لهم :

لهم كل الحق ليقولوا نعم، ولا، ومع أن هذا واضح ومقبول ولكن العديد من الصغار لم يتعلموا أن فهم الحق في الاختيار.

الصغار يحتاجون إلى المعرفة، إلى إعطاء الحق لأصدقائهم في بذل النصيحة، ولكن لا يحق لهؤلاء الأصدقاء أن يتوقعوا سريان مفعول نصيحتهم، حتى أقرب الأصدقاء لا يحق لهم بتاتاً أن يتخذوا القرار بالنيابة عن بعضهم بعضاً للصغار حرية ذاتية لاحترامهم لنفسهم،

ويجب أن يكونوا مؤهلين لاختيار أسلوب التصرف المناسب والمفيد لهم. كل بمقاييسه ومعدلاته، وقيمة الذاتية، وهذا الاحترام للذات، وللغير يحتاج إلى من يغرسه في صدور الصغار كي يعملوا ويتصرفوا على ضوئه.

وإدراكهم أن لهم الحق في التقرير، يشجعون ويفكرون ويقدرون الوضع، ويزنون السلبيات والإيجابيات، ويفحصون مشاعرهم وقيمهم وأخيراً يصلون إلى النتيجة، وتكون نتيجة مدروسة مَخَضُوهَا وقدحوا زندها وسبروا غورها.

2- معرفة نوع الخيارات :

ما أن يفهم صغيرك بأنه مخير، ساعديه على تبين كنه الخيارات، ويمكن تعليمه ذلك دون التفكير بوضع خاص معين، أو حالة مستجدة، حينما تشاركين أنت وصغيرك البحث في الخيارات، والخيارات من ناحية عامة لا استبعد أن يختار الصغير موقفاً من هذه المواقف :

- يخضع للضغوط ويجاري رفاقه في معاصيهم.
- يقول لهم إن ما يفعلوه كريه ومحظور وسيورط الجميع، أو أن ما يفعلونه محفوف بالخطر .
- يبتعد بنفسه عن الوضع غير السوي.

- يبقى ويصمد للضغوط.
- يخبر أحداً أو يستنجد بأحد.

للخيارات في أوضاع حقيقية يستطيع الصغير أن يضرب مثلاً، مشكلة قد واجهها، أو في استطاعتك أنت أن تستنبطي مشكلة، كهذه : "ما الخيارات التي تجدها إن كان الجميع يشربون في الاحتفال وأنت امتنعت، ولكن الجميع ألحوا عليك..؟ " .

لاختيارات محددة قد يعمد الصغير:

- إلى مجاراتهم ومحاكاتهم.
- يقول لهم أنهم يكثرون ويجب أن يكفّوا.
- يغادر الاحتفال.
- يقول لهم "كلاً. شكراً لكم، أرجو أن لا تلحوا، فأنا لا أريد".

وفي إمكانك اقتراح خيارات أخرى، فالفكرة هي الإكثار من طرح الخيارات أنت وصغيرك لأي وضع، وكلما ازداد علماً بالخيارات المتاحة ازداد مقدرة على معالجة وضع حقيقي من أوضاع الحياة.

3- معرفة نتائج الخيارات :

مجرد معرفتها لا يكفي..فهو محتاج إلى معرفة ما يتضمنه كل خيار، كي يقدر النتائج أو المجازفات المحتملة، وعودة إلى الاحتفال الذي امتنع فيه عن الشرب فكري بالنتائج التالية :

إذا خضع طفلك للضغط وشرب :

- فقد يفقد احترامه لنفسه وخضوعه واستسلامه.
- قد يتقبله الجميع.
- قد يشعر بالمرض أو الدوار.
- قد يحب الشراب أو ماذا؟
- قد يواجه المشاكل لأن أبويه سيعرفان.
- قد يخاطر بنفسه إن قاد سيارته في عودته إلى المنزل.

إذا حاول صغيرك أن ينهي أصدقاءه عن الشرب:

- قد ينصاعون احتراماً له.
- قد يظنون ابنك أبله.

كما يكون الوالدان يشب الطفل

من تحصيل الحاصل القول إنَّ ما يطمع إليه كل أب هـو أن يـرى ولده في أحسن حال، والغالبيـة العظمـى مـن الآبـاء والأمهـات تريـد لأولادها أفضل مما توفر لها في دروب الحياة، وتبـذل قصـارى جهـدها لكي تدفع الجنوح والانحراف عن الأبنـاء والبنـات، وتشـيع في نفـوس الصغار تقدير الذات والاعتداد بالنفس، وتهيئهم للظفر بكل مقومـات النجـاح وقـوة الشخصـية ووضـوح القصـد الطيـب والسـعادة بكـل معانيها.

وخلال لحظات الحيرة والقلق قد يعمد الوالدان، في سبيل تحقيـق هذه الغاية، إلى قوانين اكتسباها بحكم العادة والتجربة بدلاً من اللجـوء إلى تملية الحقائق العلمية، باعتبار أن مثـل هـذه القـوانين المجربـة قائمـة فعلاً ويمكن البناء عليها، وهذا هو وجه البساطة في الاختيار.

وهذه القوانين الخاضـعة للتجربـة المعاشـة تملـي علـى الوالـدين الحقيقية التالية:

الصغير الذي يتمتع بالاحترام الذاتي، هو أوفر مـن سـواه حظـاً في النجاح، أما الذي يقضي حياته قلقاً دائم الاضطراب، فإن تصـرفاته تكون مختلفة تماماً عن تصرفات الشخص السوي الواثق من نفسه.

إن كـل وليـد طبيعـي الخلقـة يصـل إلى الحيـاة مـزوداً بإمكانيـة خاصة به لأن يصبح كبير التقدير لذاته، غـير أن حـظ هـذه الإمكانيـة

من النجاح والازدهار، مرهـون بالبيئـة النفسـية الـتي يحيـى في ظلـها، ويجب على الوالدين، لكي يعرفا ما إذا كانـت هـذه البيئـة سـتزدهر أم تذوي، يجب عليهما أن يدركا الفرق بين أن يكون الطفل كبير التقـويم لنفسه أم خفيض الاعتداد بالنفس، وأن يحسنا قيـاس درجـة الاعتـداد الكبير بالنفس في ضـمير الطفـل والسـبب الـذي يسـعى الكبـار لسـد حاجتهم هم إلى هذا الاعتداد.

إن تقدير الذات في نفس الشخص هو قوام الحكمة علـى نفسـه، وكيفية إحساسه بنفسه عند انفراده بهـا، ولـيس تقـدير الـذات واجهـة يستطيع أن يلصقها أمام ذاته، واجهة يستطيع وراءها أن يجـرف الثـروة والجاه إلى نفسه جرفاً.

النجاح أو السقوط

واحترام الذات من الناحية النفسية يعني وجود حكـم داخلـي، وهو لا يتطلب غروراً مصحوباً بجلبة وضوضاء، بل على النقيض مـن ذلك، فإن احترام الذات، أو الحكم الـداخلي لـيس أكثـر مـن شـريك صـامت يملـؤه إحسـاس بـاحترام الـنفس وقيمـة الـذات، والشـخص المتمتع بنظرة سامية إلى نفسه يتفادى استهلاك طاقته ووقتـه في التبـاهي بمنجزاته أو أفكاره طمعاً في التأثير بمن حوله، والإنسان المحـترم لذاتـه لا يقيس قيمته الحقيقية بقدر ما يناله من إطراء خارجي.

إن الموقف الذي يقفه الطفل من قيمة الذات يشكل نواة الشخصية، ولهذا الموقف تأثير مباشر على كل القرارات التي يتخذها، واحترام الذات يؤثر على إبداع الطفل ودرجة استقراره، كما يؤثر على نوع الأصدقاء الذين يختارهم، وعلى سائر النواحي الهامة الأخرى في حياته.

وجلي الحالة هذه أن احترام الذات هو الذي يهيئ كل طفل إما للنجاح في حياته أو السقوط على دربها.

فالطفل الذي يسيء الظن بنفسه لا يستطيع أن يرقى إلى صفات الإنسان الطيب" بل هو مقضي عليه بالإخفاق التام في حياته، ومثل هذا الطفل أكثر احتمالاً بأن يجر على نفسه المشاكل في مقبل أيامه، وهو حري بألا يؤدي من الأعمال إلا ما كان خاطئاً، ولا يستطيع الشعور بالأمن والطمأنينة.

وإذا ما قل احترام الشخص لنفسه فإنه يصير ميالاً لأن يقول مثلاً : "لا أستطيع أن أؤدي أي عمل صائب". و"ما من إنسان يحبني" و" لا أحد يود محادثتي. ولا ألومهم في هذا الأعراض لأنني لم انطق قط في حياتي بشيء ذي قيمة"وما إلى ذلك من عبارات تنضح بالتشاؤم.

أما الشخص المعتد العالي الاحترام لنفسه فإنه يكون أكثر إقداماً على التفوه بعبارات تشع تفاؤلاً وتواضعاً واعتداداً مثل : "إنني اتقن

أداء بعض الأعمال الطيبة ولكنني أريد أن أزداد علماً، إن والدي يحباني وأعتقد أنني شخص يطيب للناس التعرف إليه".

إن البيانات التي تند عن هاتين المجموعتين من الصغار شبيهه بمنظارين يعكسان رسالتين متناقضتين، ففي المجموعة الأولى تنعكس رسالة نامّة عن كره الذات.

والصغير الذي يحفل ماضيه بقصص النجاح، فإنه من المتوقع له أن يقتحم أي تحد يعترضه وهو ممتلئ الصدر بثقته تمنحه الشجاعة والطاقة اللازمتين للديمومة، في حين أن نقيضه الذي يرى نفسه تجسيداً للإخفاق لا بد له من أن يخفق في حياته. ومثل هذا الشخص تواق إلى أن يكون له معنى وإنجاز شخصيات، غير أن جهوده السيئة التوجه قد تقوده إلى مسلك مدمر للذات، ومن المحتمل أن يصبح هذا الطفل مجلبة للمشاكل لأنه يمشي ويتكلم ويتعلم ويلهو ويعمل ويعيش بطرق مختلفة عما يؤديه الطفل المحب لنفسه، فالإحساس بالأمن الداخلي أو القلق الخبيء. ينعكسان عن هذين الطفلين ويؤثران على ما يؤديانه من أعمال، والطفل المحترم لذاته أكثر احتمالاً من الآخر لأن يصبح عضواً بنّاء في المجتمع وشخصاً مبتكراً لا مدمراً.

ثم إن شخصاً عظيم الاحترام لذاته هو أقدر على مواجهة الأنباء المخيبة للآمال أو مجابهة اليوم المليء بالمخاطر، وذلك على

النقيض من الصغير القليل الاحترام لنفسه، فهو لا يستطيع استخدام موارده للخروج من وهدة الإخفاق عندما يتردى فيها.

كما أن الأشخاص الذين تتحكم فيهم الأمور الخارجية (أي القليلي الاحترام لأنفسهم) يسلمون أمورهم إلى معارفهم وسواهم من الناس وإلى الظروف وعوامل الطقس لأن يتحكموا في أفكارهم ومشاعرهم و أعمالهم، وعلى النقيض منهم الأشخاص المتحكمون ذاتياً في أمورهم (وهم الأشخاص الكثيرون الاحترام لأنفسهم) فهؤلاء يسمحون لمواردهم الخاصة الداخلية، وأوضاعهم وخصائصهم بأن تقرر مشاعرهم وأفكارهم وأفعالهم.

كيف ينمّى احترام الذات في الطفل

يسعى الوالدان تلقائياً وبلا نصب إلى نشدان النصيحة من لدن الاختصاصيين التعليميين والطبيين واختصاصي النمو الجسماني، إلا أن الوالدان في ما يتعلق بأمر الطمأنينة والإرشاد، ذات الصلة بالصحة العاطفية غالباً ما يلجؤون إلى لعبة الحدس والتخمين، ومعظم الآباء والأمهات ينظرون موضوع الاستشارة التي يسديها العالم النفساني، بأنه موضوع ينم عن هزيمتهم التي ما بعدها هزيمة، حتى ولو كانت أعراض الاضطراب النفسي قد ظهرت على أطفالهم، مثل هذه الأعراض على الطفل لهو دليل على تهافت الفكرة التي توجب على الكائنات البشرية أن تكون قادرة على تنشئة كائنات بشرية أخرى، إذ

أنه مهما أوتي الإنسان من رغبة وقدرة على خط مصير شخص آخر، ولو كان من سلالته، فإنه في كثير من الأحيان يعجز عن هذا الأمر ، وما إلى ذلك إلا أن أي إنسان لا يمكن أن يهبط عليه بغتة ومن حيث لا يحتسب، الحكمة والكفاءة اللتان تمكنانه من تنشئة أطفال ذوي شجاعة تكفل لهم أن يصبحوا ملتزمين ومبدعين ومنتجين يتحملون المسؤولية ويحيون حياة ذات معنى تليق بأشخاص قادرين على العمل والعطاء.

ولكن على الوالدين ألا ينظرا إلى الطبيب النفساني نظرتهما إلى عدو لهما إذ أنه راغب في تقديم العون إلى من يطلبه.

التأثر بالوالدين

والوالدان هما المرآة التي يستخدمها الطفل من أجل تشكيل هويته،وهذه المرآة هي التي تنعكس عليها الصورة الذاتية للطفل، وما من طفل يستطيع أن يرى نفسه بشكل مباشر، وإنما يرى ذاته في الانعكاسات التي تولدها شخصيات من يحيط به، والوالدان أوثق الناس صلة به، ومن هنا فإن الطفل يتخيل والديه مالكين للقدرة المطلقة على الحكم عليه ومعاملته بمقدار ما يستحقه من معاملة.

وما يقوله الوالدان عن الطفل يعكس في الحقيقية ما يجب أن يكون عليه (هذا في نظرة الطفل طبعاً) لذا فإن الطفل يستخدم

الكلمات واللغة الجسدية للوالدين كمواد أولية لبناء شخصيته هو، ويسعى جاهداً لأن يجعل طاقته وتصرفاته مطابقة لما يؤملانه منه.

من هنا كان الأطفال في حاجة إلى ممارسة تجارب محسوسة لكي يثبتوا قيمتهم وقابليتهم للظفر بمحبة الآخرين، لأن ذلك يساعدهم على رسم صورة صادقة حقيقية لنفسهم،كما يعينهم على اكتساب احترام الذات عن جدارة، ولا يكفي أبداً أن يغدق الوالدان على طفلهما كلمات الحب والإطراء، فالحقائق تتكلم بصوت يطغى على صوت الكلمات.

ومن المهم ألا يرغم الطفل على أداء شيء لا يستطيع أداؤه حقاً في مرحلة ما من مراحل عمره. يستطيع الوالدان التعبير عن مقدار حبهما لطفلهما عن طريق تقريظ أعماله الطيبة سواء أكانت هذه الأعمال صورة يرسمها أو لحناً يعزفه أو حسن ترتيب لألعابه وكتبه أو كسب في إحدى المباريات الرياضية، ولكن لا يجوز أن ينسب الوالدان نجاح طفلهما إلى طريقه تربيتهما له، بل يجب عليهما أن يعترفا له بأن نجاحه هو من عمله هو.

إرشادات

وفي ما يلي بعض الإرشادات التي تصلح لأن يتبعها الوالـدان في تربية أطفالهما :

1- ساعد طفلـك علـى اكتســاب الخـبرة والتجربـة للوصـول إلى النجاح.

2- حاول أن تبادر إلى الاستجابة، استجابة صحيحة للإرشـادات التي يطلقها.

نظرة علم الاجتماع
في انحياز الطفل لأحد والديه وعلاجه

نظرة علم الاجتماع

في انحياز الطفل لأحد والديه وعلاجه

إن الجهة التي يتعلق بها الطفل عندما تدعو الحاجة طلباً للراحة والتسرية، هي الجهة التي تغدق عليه طوال نهاره وفنون العناية، وهذه الجهة تكون الأم عادة ولا بأس في ذلك.

قد يكون ميله حيناً لأبيه فيرتاح إليه وهو يقص عليه قصة ما قبل النوم ولا يرضى أبداً بان تتولى أمه هذه المهمة بل يأمرها بان تنصرف إلى غسل الأطباق. هذه المشاهد قليلة الحدوث، ولكنها تحدث فعلاً، وكثيراً ما تكون جزءاً من العلاقة بين الطفل ووالديه.

ومع أن الوالدين قد يعجبان من أمر هذا التصرف من جانب الطفل، ولا يكفان عن التساؤل عما إذا كان ذلك يحدث بسبب خلل في العلاقة بين الطفل وأحد والديه من جهة، أو بسبب نقيصة في حياة الطفل وأسلوب تربيته، كي يصار إلى سد هذه الثلبة، ولكن الحقيقة مع ذلك هي أن معظم الأطفال ينحازون أحياناً إلى الأم أو إلى الأب وولاء الطفل هذا قابل للتحول والتبدل أيضاً، وتكون درجة الولاء متبدلة أيضاً. تشتد أو تضعف، فقد تصبح تعلقاً هوسياً أو تجاهلاً بل (وكرها) أحياناً إن كثير من جوانب هذه الخصلة ينبع من تربة التوتر الطبيعي الذي يتجاذب الطفل بين رغبته في حب أمه وأبيه ودافع يملي عليه أن يوطد استقلاله الخاص.

الأم أقرب إليه

بديهي أن يفضل الطفل أو الطفلة، الوالد الـذي يقضـي معهمـا معظم أوقاته، وهذا عادة يكون من نصيب الأم، فعندما يشـعر الطفـل بأنه متعب أو جائع أو مريض أو يضطرب أو راغـب في المداعبـة فإنـه يتطلع إلى أمه لأنها أقرب إلى الطفل في معظم الأحيان، من أبيه، وهـذه الرابطـة العاطفيـة تمـنح الطفـل الأخـذ في النمـو إحساسـاً بالراحـة والأمان.

وفي الأسر التي يعمل فيها الوالدان كلاهمـا، أو الـتي يكثـر فيهـا تواجد الأب، فإن كفة الميزان ترجح اتجاه الأب. فـإذا كانـت الأم هـي المنبع الأكبر للعناية والاهتمام، وكان الطفل يفضلها تبعاً لـذلك، فمـن السهل أن يشعر الأب بأنه بعيد عن معادلة الود.

ومع أن أحد الوالدين قد يشعر أحيانـاً بأنـه خـارج نطـاق تعلـق الوليد أو الطفل الصغير، إلا أن هذا التعلق لن يبـدأ في فـرض نفسـه كمشكلة أسرية قبل أن يشرف الطفل على السن التي تؤهله للالتحـاق بالمدرسة، فعندها لا يكتفي بإبداء تفضيله لأحد الوالدين على الآخـر، بل إنه قد يميل إلى استبعاد الآخر، وإسقاطه من حسابه.

الجنس الآخر من الوالدين

وخلال هذه الفترة من حياة الطفل بين السـنة الثالثـة مـن عمـره والسنة السادسة أو السابعة،فإن تفضيله عـادة يتجـه نحـو الوالـد مـن

الجنس الآخر،أي أن البنت تتعلق بابيها، والابن يتعلق بوالدته، وهو ما سماه فرويد عقدة اوديب عند الصبية وما يعرف باسم عقدة إلكترا عند البنات.

إذا ما تجاوزت عواطف الابن أو الابنة حدود المنطق في سلوكيهما فإن هذا السلوك يكون مبعث قلق واضطراب الوالدين.

إن السن التي يحدث فيها مثل هذا التجاوز، هامة جداً إذ أنها تشكل مرحلة حاسمة في تطور الطفل بميل الأم، هي في الواقع عملية يحاول فيها الصبي التشبه بابيه ومحاكاته، يحاول من خلالها الصبي أن يوطد هويته الجنسية.

والبنت أيضاً تنافس أمها في إحراز محبة الأب،فوجود الأب في حياة البنت يجعلها تبدأ في استقصاء هويتها الأنثوية خارج العلاقة المقتصرة كلياً على أمها.

المثال المحتذى قبيل البلوغ

خلال السنوات التي تسبق المراهقة في حياة الصبي والبنت، يصبح تشبّه الصغير أو الصغيرة بالأب والأم، عبارة عن اتخاذهما الوالد الشبيه بجنسه، مثالاً يحتذيه أو تحتذيه، فالصبي في هذا العمر، عندما يملأ غرفته بصور أبطال الرياضة ومشاهير المغنيين والموسيقيين، قد يتخيل والده بهذه الصورة ويحاول جعله صنماً ويجد فيه بطلاً حقيقياً قادراً على فعل أي شيء، وهذه الصورة هي غاية ما يصبو إليه

شخصياً بأن يصبح كأبيه، هذا البطل فالوالد في هذه الحالة يمكن اعتباره حليفاً للصبي قادراً على الدفاع عن رجولة ابنه التي لا تكون قد اكتملت بعد، في حين أن الأم بالنسبة للصبي تحول دوماً أن تفرض عليه أموراً غير منطقية وان تحمله على فعل أشياء لا يريدها.

والبنت في هذه المرحلة يمكن أن تصبح رفيقة حميمة لأمها، ولكن بالنظر إلى الرغبة الخفية الدفينة في صدر البنت بأن تنفصل من أمها وتصبح لها شخصيتها الخاصة بها كإمرة، فإن المثالية التي تتطلع إليها قد تتحول إلى مكان آخر غير الأم، ومن هنا يحدث هذا الولوع والتدّله الذي تحس به الصبية الصغيرة لنساء أخريات كمديرات المدارس أو المرشدات الكشفيات..الخ.

النظرة الواقعية

وعندها يصبح الصغار أميل إلى النظر إلى والديهم نظرة أكثر واقعية، فقد تطرأ على العلاقات بينهم وبين الوالدين تبدلات تدريجية، فالصبي يزداد اعتداده بنفسه إلى الحد الذي يحاول فيه التقليل من مكانة أبيه، فإذا وقعت خصومة أو خلاف بينه وبين أبيه، فإنه قد يلجأ إلى أمه طلباً للعزاء.

وفي سن المراهقة عندما تأخذ في التوطد قضايا الانفصال والهوية الجنسية، قد يحدث عند الصغير أو الصغيرة شيء من التفضيل للوالد من الجنس الآخر. ولكن لما كانت الأم في معظم الأحيان

الجانب الذي يصعب الانفصال عنه عاطفياً، فإنه يحدث عامة كثير من مشاعر الغضب المكبوت تجاهها، من قبل البنات والبنين.

عوامل التفضيل

إلى أي مدى يصبح هذا التفضيل لأحد الوالدين، أمراً لا مندوحة عنه؟ وهل من الضروري أن يحب الصغير أحد والديه وينصرف عن الآخر في إحدى مراحل العمر؟ معظم الصغار يمرون بمرحلة من حياتهم يفضلون فيها أحد الوالدين. ولكن هذا التفضيل سحابة صيف ما تلبث أن تمر، ولكن الصغار تتفاوت شدة ميولهم فمشاعرهم لا تكون واحدة في شدتها، وهنالك أطفال تكون لديهم الرغبة في التفضيل هادئة قليلة بحيث لا يحس بها أحد.

هنالك عوامل كثيرة يمكنها التأثير على مدى تعلّق الطفل بأفراد أسرته، ومقدار قوة هذا التعلق.

إن من المهم أولاً أن نتذكر أن للصغير والصغيرة شخصيتهما الخاصة بهما، وقسم من هذه الشخصية مولود مع الصغير، ولا يجوز لنا أن نتوقع أن يكون تجاوب الصغير واحداً مع والديه، وهما شخصيتان مختلفتان، فقد تكون الشخصية الصغيرة منسجمة مع شخصية أحد الوالدين انسجاماً أكبر من انسجامه مع الآخر.

ويبدو أن للترتيب الذي يتم عليه وصول الأطفال إلى الدنيا، دوراً هاماً في خلق الأفضلية في نفس الطفل، فالطفل البكر، أو وحيد أبويه قد يكون ارتباطه مع أمه أقوى ما يكون.

وليس من المستغرب أن يكون هوى الصغير أو الصغيرة مع الوالد الذي لا يبدي تمسكاً شديداً بالنظام ولا يتهاون في التربية، فإذا كانت الأم هي المنظمة القوية لأمور البيت كان ميل الصغير نحو الوالد إذا كان ألين عريكة منها.

كذلك فإن للصغار إدراكاً قوياً بديناميكة الأسرة،وهم يستشعرون المشاكل التي تحدث فيها، ولا يترددون في الانحياز إلى الجهة المظلومة جسمانياً أو عاطفياً، والطفل يجد صعوبة بمكان أن يتخلى عن أمه إذا اقتنع بأنها وحيدة مكتئبة قلقة على مستقبل زواجها مثلاً.

وأياً تكن الأسباب، أكانت تطوراً نفسياً أو ديناميكية عائلية، أو مزيجاً من هذين الأمرين، فإن الطفل لا بد له من التعبير عن عواطفه إزاء هذا أو تلك بأسلوب عنيف أو هادئ، وفي هذه الحالة يجب على الوالدين- المرفوض منهما أو المحبب- أن يشعرا الصغير و الصغيرة بان لهما والدين لا واحداً، وان عليهما التصرف على هذا الأساس.

يستطيع الوالدان مساعدة صغارهما على تحقيق الانفصال السليم الصحي عنهما عن طريق رسم الحدود، وتعيين الأماكن التي لا يجوز تخطيها، وذلك بجعل نفسيهما مثالاً يحتذى في المعاملة

والتصرف، ولكن ذلك يجب أن يتم بصورة هينة يسهل على الصغير تقبلها والاقتداء بها.

وفاق الزوجين ضروري

إن من المهم أن يبقى الأبوان علاقة الود والتفاهم بينهما، فالتواصل المفتوح بين الأبوين واستطاعتهما إقامة جبهة متحدة يمنعا الصغير من الانحياز لأحد الوالدين على حساب الآخر وإتاحة الفرصة له لكي يتلاعب بعواطف هذا على حساب ذاك.

والوالدان اللذان يلبيان حاجة الطفل إلى الغذاء والدفء يستطيعان مد أجل هذه المساعدة لتشمل العناية بأمر الصغار عندما يقتربون من سن المراهقة.

كما يجب أن يصدر الوالدين معاً عن رأي واحد فيما يتعلق بتصرفات الصغير والصغيرة، فلا مجال لأن يشد أحد الوالدين ويبوح برأي محدد إزاء أمر من الأمور، وان يتراخى الوالد الآخر في هذا الأمر، لأن ذلك بمثابة دعوة للصغير لأن يختار الجانب الأسهل للوصول إلى مبتغاه، وهذا يسّهل عليه التلاعب بعواطف الأبوين.

إن حسن تواصل الزوجين وتخاطبهما أمر ضروري لسبب آخر: لأنه إذا شعر أحد الوالدين بأنه مغبون في معاملة الصغير له، فإن هذا الشعور يمكن أن يخلق توتراً في العلاقة بين الزوجين، فالتواصل الطيب بين الزوجين إزاء مثل هذه المشكلة كفيل بإقناع الجانبين بأن أحدهما لا يحب تفضيل الصغير له على حساب الجانب الآخر، وهذا من شانه إزالة كثير من بواعث التوتر.

تنشئة الطفل الاجتماعية

في دور الحضانة

تنشئة الطفل الاجتماعية

في دور الحضانة

إذا سلمنا بأهمية المرحلة الحضانية في حياة الفرد والمجتمع، فيكون بديهياً وسط العوامل المعوقة المذكورة في الفصل السابق، وأما تلك الأعباء الكثيرة التي يواجهها الأبوان في الحياة، وان تحتاج الأسرة إلى العون في رعاية أطفالها. وعندما نقول العون، ولا تقصد العون أياً كان، ومن أي شخص كيفما اتفق،كعون القريبات أو الخادمات المأجورات أو الجارات، بل العون المنتظم المستند إلى العلم والتخصص، إنه العون الذي يوفر للطفل كل ما تعجز الأسرة عن توفيره له، ويتمثل هذا العون في المنشآت المعروفة 'بدور الحضانة'.

وهي تلك الدور التي قامت لتعويض الطفل عما يلاقيه من أوجه النقص والحرمان، والقصور والإهمال، الموجود بالضرورة في حياة أسرته، فإلى دور الحضانة الصالحة نتجه للبحث عن العوامل التي لا بد منها للطفولة السعيدة والمواطنة الفاضلة، والظروف الملائمة لتحقيق حاجات الطفل ونموه، ففي دور الحضانة يجد الطفل الفضاء الرحب والشمس والهواء الطلق، والنظافة والنظام، والغذاء الصالح المنتظم، واللعب والرياضة، وشغل الوقت بالنشاطات البناءة للشخصية، كما يجد الراحة والنوم الكافي، والوقاية والعلاج من الأمراض، والحماية من أخطار الحوادث.

ودور الحضانة دور توزع البهجة والسرور توزيعاً عادلاً على الأطفال، دور ينمون فيها على العادات الصالحة، الصحية والعقلية، والخلقية والاجتماعية دور يكتسبون فيها كثيراً من المعلومات والخبرات بشكل طبيعي في سياق النشاط النمائي دون ما تعجل أو إبطال أو كبت، ودون ما صراعات أو انتكاسات عاطفية.

وتقوم رسالة دور الحضانة على توفير عاملين أساسين هما، تهيئة البيئة الصالحة، وتوفير الهيئة المشرفة من المتخصصات المتفرغات لتربية الأطفال. فالمعروف أن البيئة الصالحة المستوفية لشروط الحياة الصحية، والغنية بالحوافز ومثيرات النشاط، تساعد الطفل، بإرشادات المشرفات عليه والعارفات بسيكولوجيته، على أن ينمو، وتتفتح طاقاته، وتنطلق قدراته، وتتضح إمكاناته إلى آخر حد ممكن، أما فلسفة دار الحضانة في تنشئة الطفل الاجتماعية، فتتبلور حول فكرة أنها ليست فقط امتداد لحياة الطفل في المنزل، بل إنها أيضاً تحسين لها وإضافة إليها، فهي تحقق للطفل الكثير من حاجاته التي يمكن أن تحققها له أسرته وتلك التي لا يمكنها أن تحققها له، كذلك تعمل دار الحضانة على تصحيح الكثير من الأخطاء التي يقع فيها الوالدان، لسبب أو لآخر، وفضلاً عن ذلك فهي تعوض الطفل عما يحرم منه بالضرورة بطبيعية حياته في بيئته المنزلية.

أنواع دور الحضانة :

إن دور الحضانة متنوعة تنوعاً كبيراً يغطي ميدان راعية الطفل، ويقابل حاجاته في الفترات العمرية المختلقة، منذ أن يولد حتى آخر مرحلة الحضانة، حيث يقف على عتبة الدخول في المدرسة الابتدائية والتعلم الرسمي، فمن هذه الدور ما هو خاص برعاية الطفل دون الثالثة، والسادسة أو السابعة من العمر مثل مدارس الحضانة ورياض الأطفال.

وكثيراً ما يحدث أن تقام دار واحدة مركبة للرعاية في مرحلة الحضانة، تضم في آن واحد داراً للرضاعة ومدرسة للحضانة، والغرض من ذلك تأكيد الوحدة والاستمرار والارتباط والانسجام في عمل الهيئتين، وفي حياة الطفل فيهما، وكذلك تسهيل الأمر على الآباء في التعامل والاتصال بالقائمين على تربية أطفالهم الاجتماعية في هذه المرحلة، وعند إقامة دار حضانة من هذا النوع، يراعى فيها بالطبع من حيث هندسة البناء ونظام العمل ومنهجه، أن تحقق كلاً من المتطلبات الخاصة بالنمو والتنشئة في مدرسة الحضانة.

على أن الغالب أن تستقل مدرسة الحضانة عن دار الرضاعة في بنائها، فعلى الرغم من حدة النمو وتسلسلها في مرحلة الحضانة ككل، إلا أن الفترة العمرية من سنة إلى ثلاث سنوات تبرز فيها سمات معينة تميزها، من حيث سلوك الطفل ومتطلبات رعايته، وعن الفترة

العمرية التالية لها، وهي الفترة من ثلاث سنوات إلى ست، أي مرحلة ما قبل المدرسة، ومن أبرز سمات الطفل دون سن الصالحة، بصفة عامة، أنه أميل إلى الفرد والتمركز حول نفسه والاعتماد على الكبار، والالتصاق بهم تدعيماً لحاجته إلى الأمن النفسي والحماية، أما طفل ما قبل المدرسة، فيكون قد وصل إلى درجة ملحوظة من ضبط النفس، والشعور بالذات، والتحكم في عمليات الإخراج، وغير ذلك من العادات الشخصية اليومية، كما يكون قد سيطر تماماً على الكلام والجري والحركة، وبدأ يشعر بميل إلى الاجتماع والتفاعل مع غيره من الرفاق، ومعنى ذلك أنه يكون أقدر من طفل ما دون الثالثة على الانطلاق نسبياً في لعبه، كما يكون انضج منه ميلاً إلى الاجتماع بغيره، والانضمام إلى مجموعات أكبر وعلى الاستقلال، وممارسة الحرية، والاعتماد على النفس في نشاطه اليومي المعتاد، وعلى الابتكار والفهم والتفكير وغير ذلك، مما يبرز استقلال مدرسة الحضانة ببناء خاص بها، وبمنهاج نشاطي يميزها، وبمشرفات مؤهلات متفرغات عارفات بتحقيق أغراضها التربوية الاجتماعية على الوجه الأكمل.

دور الحضانة للرضع والفطماء :

ولكي نفهم رسالة دور الحضانة للرضع والفطماء من الأطفال، نذكر أنفسنا مما سبق وأشرنا إليه، من أهم حاجات الطفل في سن ما دون الثالثة هي حاجته إلى الأمن، الذي يحصل عليه من تعامله أساساً مع أمه ومن اعتماده عليها في قضاء وإشباع حاجاته النمائية المختلفة، ومن حنانها وعطفها وتقبلها إياه فالأم تظل الأساس المركزي، والينبوع الأصلي لأمن الطفل طوال فترة الرضاعة والفطام بصفة خاصة، ولذلك فغيابها عنه ساعات طويلة، دون بديلة صالحة لرعايته يزعزع أمنه ويثير قلقه.

وقد قامت دور الحضانة لسن ما قبل الثالثة، على الفكرة في تعويض الطفل عن غياب أمه في عملها، بتوفير المشرفة المؤهلة الصالحة، التي تحتضنه وترعاه رعاية ثابتة والتي تحل محل الأم كمصدر لأمن الطفل وإشعاره بالأمومية والحماية والعطف الدفيء، ومن هنا كانت تسمية هذه الدور في كثير من البلاد الأوروبية مثل ألمانيا وفرنسا وبلجيكا " بدور الأمومية، أو "مدارس الأمومية (ecoles maternelles) أو "دور المهد" (oreehes) أو " دور المهد للأم " (oreches mere).

وتهتم دور الحضانة للرضع والفطام بصحة الطفل النفسية، وتحرص على تدعيم شعوره بالأمن بكل ما تستطيع، ولذلك تختار المشرفات ممن يكن على مستوى عال من التأهيل والإعداد المبني،

وممن تكون لديهن المهارة أو الخبرة والتفاني والمحبة والفهم الصحيح للأطفال والأساليب الرعائية الصالحة، وتخلق المشرفة الجو الودي الدفوء؛ الذي يشعر الطفل بان دار الحضانة بيته وأسرته وان مشرفته تحبه وترحب بمجيئه ووجوده في الدار، وإنه إذا غاب افتقدته، والقاعدة العامة في دور الحضانة لسن ما قبل الثالثة، أن تقسم الأطفال إلى مجموعات صغيرة تقرب من مجموعة الأسر العادية، ويعهد أطفال كل مجموعة إلى مشرفة واحدة تقوم بالإشراف على أطفالها منذ اليوم الأول لدخولهم إلى أن يتركوا الدار في سن الثالثة وبهذه الطريقة تتوثق العلاقة بين الطفل ومشرفته ويجد فيها بديلة ثابتة، إلى حد ما، عن أمه، فيأنس إليها بمرور الأيام وتنمو عواطفه نحوها، ويتوحد معها، وبذلك يتدعم أمنه النفسي، ويزدهر نموه، هذا من جهة الطفل، أما من جهة المشرفة، فإن نظاماً أسرياً – أمومياً مثل هذا، كفيل بأن يتيح لها أن تعرف كل طفل معرفة فردية جيدة من جميع اوجه سلوكه، ومن ناحية ظروف تربيته المنزلية، مما يساعدها بالتالي على اختيار الأساليب التربوية الأكثر تأثيراً والأسرع جدوى في معاملته ورعايته المشرفة في مرحلة الحضانة بالذات أكثر من أية مرحلة أخرى من مراحل النمو، تحتل المرتبة الثانية في الأهمية، بعد أفراد الأسرة المباشرين، من حيث مركزها في حياة الطفل،وفي نظام العلاقات الشخصية التي ينشأ في نطاقها، فهي ذات تأثير قوي، إيجابياً كان هذا التأثير أو سلبياً، على نموه الوجداني، وصحته النفسية، واتجاهاته بصفة عامة، وهي من جهة

نظر الطفل، وفي الواقع، بديل مباشر للأم، تمنحه الدفء العاطفي والأمن أو تحرمه منها، كما أنها هي المسئولة الأولى عنه، والمخالطة له طوال الوقت في دار الحضانة، وبذلك بالنسبة له سلطة كل من الأبوين، ومجتمع الكبار بأسره وسلطة المشرفة على الأطفال في دور الحضانة، تتيح لها بشكل تلقائي ممارسة اتجاهاتها التسلطية أو التكاملية، تبعاً لنمط الشخصية الغالب عليها.

ومن الدراسات الجديرة بالذكر في هذا المقام، تلك الدراسة التي قام بها أندرسون (Andreson) وزملاؤه، لتقدير اثر شخصية المشرفة واتجاهاتها على أطفالها، وتقوم هذه الدراسات على أساس ملاحظة سلوك التسلط، وسلوك التكامل لدى المشرفات في دور الحضانة بالنسبة لأطفالهن.

وقد حدد الباحثون تسلط المشرفة، بحيث لا يشمل فقط الألفاظ أو الأفعال التي تؤدي إلى التصارع فيما بينها وبين مجموعة بأكملها أو أحد الأطفال فيها، بل بحيث يشمل أيضاً كل العلاقات الاجتماعية، التي تكون خبرة المشرفة عليها هي المحددة لسلوك الطفل أو المفروضة عليه، أما سلوك التكامل فيقدر على أساس طريقتها في إتاحة الفرصة لتكون خبرات الأطفال أنفسهم هي التي تحدد، ولو بدرجة ما على الأقل، سلوكهم وممارستهم لنشاطاتهم.

وقد أيدت هذه الدراسات الفكرة الشائعة، التي تفيد بان التسلط قد يستثير التسلط والمقاومة، وإن سلوك التكامل الاجتماعي، يستثير السلوك التعاوني والتكاملي، ومن ثم فإن المشرفة التي تفرض سلطتها على الأطفال بصورة ملحوظة، أو التي تواجه عدوان الطفل بالتسلط والقسر، يحتمل أن تثير فيه نزعات عدوانية، بدلاً من أن تكون العاملة على تهدئته وتحقيق حدة عدوانه، أما المشرفة التي تلتزم سلوك التكامل الاجتماعي، فيغلب أن تنمي في الأطفال روح التعاون، وإذا ما ظهرت أية مشاكل بسبب سلوك الطفل نفسه فإنها تستطيع أن تكسر الحلقة المفرغة للتسلط والمقاومة.

هذا وقد وجد الباحثون في كل الحالات التي درسوها، أنه كلما كان سلوك المشرفات تكاملياً، أصبح الأطفال أكثر تلقائية، وأكثر أصالة، وزاد إسهامهم في النشاط، سواء أكان ذلك تطوعاً منهم أم استجابة للآخرين.

بينما كلما كانت المشرفات أكثر تسلطاً، زاد تشتت انتباه الأطفال وعبثهم، كما زاد انزوائهم وتمردهم على حد سواء، وعند متابعة نفس الأطفال من سنة إلى السنة التالية، وجد الباحثون أن هذه الأنماط من الاستجابة لم تكن - أثناء مرحلة البحث - من الخصائص المميزة للأطفال أنفسهم، بقدر ما كانت من الخصائص المميزة للمواقف التي كانت المشرفة تثيرها في الأطفال باتجاهاتها الغالبة في شخصيتها.

وتعد صحة الأطفال في سن ما دون الثالثة، من أكبر مسؤوليات هذه الدُّور، بل إنها تأتي عندها في المقام الأول في منهاج الرعاية، فالمعروف أنه كلما كان الطفل صغيراً، زادت قابليته للإصابة بالأمراض والعدوى، وتراعي هذه الدور، في المحافظة على صحة الأطفال، جميع الطرق الوقائية والعلاجية، مع الاهتمام بالعينين والأذنين والأنف والحنجرة، وتحتم حقن الأطفال ضد السعال الديكي والدفتيريا والتيتانوس، وتطعيمهم ضد شلل الأطفال والجدري وكذلك فحص موظفات الدار إجباراً للتأكد من سلامتهن من بعض الأمراض مثل التدرن الرئوي، وفي بعض البلاد الأوروبية، لا يمكن تشغيل دور حضانة للرضع والفطماء إلا بترخيص من وزارة الصحة، واستكمال شروط صحية خاصة، كأن تخضع مثلاً للتفتيش الدوري عليها من مفتش الصحة.

وتتضمن العناية بصحة الأطفال في هذه الدور العناية بالتغذية، ففيها تتوافر للرضيع الرضاعة الكافية في مقدارها، والمنظمة في مواعيدها، والهادئة في أسلوب تعاطيها، وفيها يجد الفطيم التدرج الصالح في الانتقال من الرضاعة إلى تناول الأغذية نصف السائلة ثم الصلبة،كما يجد من مشرفته الصبر والتشجيع في تعليمه عادات الأكل الصالحة، متمشية في ذلك مع نضج أجهزته وقدراته، ومع سرعته الخاصة.

ومن مظاهر العناية بصحة الطفل أيضاً، تنظيم مواعيد نومه ولعبه في داخل الحجرات أو في الحديقة، كلما سمح الجو بذلك، فدور الحضانة للرضع والفطماء، تؤمن بفائدة الشمس والهواء الطلق في تحسين صحة الأطفال وتقويتها، ومن المألوف جداً في كثير من دور الحضانة، تعريض الرضع لأشعة الشمس، فهم يستمتعون بحمامات الشمس، كما يستمتعون بحمامات الماء، وتحرص المشرفة على إتاحة الفرصة للرضيع، لكي يتحرك ويلعب اللعب الذي يتمشى مع نضجه، ويساعد على سيره قدماً إلى مزيد من النضج والنمو، وذلك بتهيئة المكان المناسب له، لكي يتقلب على جنبيه، أو يزحف، أو يمشي بمساعدة مشرفته أولاً، أو بمساعدة المشاية كما يزود الرضع في مهودهم أو في حظائر لعبهم (play pens) باللعب المناسبة لسنهم، ذات الألوان الثابتة التي يمكن غسلها وتطهيرها، والتي يسهل عليهم تناولها واللعب بها، كنماذج الحيوان المصنوعة من المطاط والبلاستيك، أو الملاعق الخشبية وخيوط الخرز وما شابهها.

أما الفطماء الفاقعون والدارجون، فيتاح لهم اللعب المنطلق تحت رقابة المشرفات الدقيقة اليقظة، التي تؤمنهم من التعرض لحوادث الوقوع، وغير ذلك مما يحدث نتيجة الاحتكاك والتعامل الفج لهؤلاء الصغار بعضهم مع بعض، وهكذا ينتقلون من مكان إلى آخر في الحجرات، أو في الحديقة وفق ما يسمح به الجو، حيث يلعبون بالخامات واللعب التي تناسب سنهم، كالمكعبات والكور والجاريف

الصغيرة أو الأكواب التي يلعبون بها في أكوام الرمل، أو على الأراجيح، أو غير ذلك مما يسهم في تقوية أطرافهم وعضلاتهم، ويكسبهم بالتدريج المهارات الحركية المختلفة، وفي دور الحضانة للرضع والفطماء، يحظى الأطفال بعناية كبيرة، من حيث تعود العادات الشخصية في تناول الطعام، والإخراج، والاغتسال، والنوم واللعب فالتدريب على هذه العادات، في نظر المعنيين بتربية الصغار في هذه الدور، من الأصول الأساسية التي تقوم عليها تنشئة الطفل الاجتماعية.

دور الحضانة لأطفال ما قبل المدرسة

إن دار الحضانة لأطفال ما قبل المدرسة، التي تسمى عادة مدرسية الحضانة، وعلى الرغم من تسميتها بهذا الاسم،تعد منزلاً أو بيتاً قبل أن تكون مدرسة، فهي في الواقع مجتمع صغير يحيا فيه الطفل حياة طبيعية أقرب إلى حياة المنزل الصالح منها إلى حياة المدرسة، إذ يقضي معظم الوقت في نشاط حر تتخلله فترات الأكل والنوم والراحة، وعن طريق ذلك وبإشراف المشرفات المتخصصات، يتاح للطفل تكوين العادات السليمة، الصحية والعقلية والاجتماعية، واكتساب التجارب المتعددة والخبرات المختلفة، وفي وظيفة مدرسة الحضانة، وتشع أسلوب العمل والحياة فيها باللون الأسري يقول "وينيكوت" (Winnicott) : "إن وظيفة مدرسة الحضانة هي أن تدعم،

وتزيد من امتداد دور الأسرة، ولعله من جادة الصواب، أن تنظر إلى مدرسة الحضانة على أنها امتداد "سفلي" للمدرسة الابتدائية".

وبرنامج العمل في مدرسة الحضانة لأطفال ما قبل المدرسة، مرن لا يتبع خطة جامدة، فلا يدق جرس يحدد بدء أي نوع من النشاط ونهايته، بل هو انتقال تدريجي من عمل إلى آخر، وعلى الرغم من مرونة البرنامج، فإنه له نظاماً معيناً يحفظ التوازن بين النشاط والراحة،حتى يتيسر للأطفال ومشرفاتهم العمل في جو هادئ مستقر، وينظر المعنيون بمدارس الحضانة إلى برامجها، على أنها امتداد لخبرات حياتية عامة، أكثر منها خبرات مدرسية نوعية قائمة بذاتها، فهي مؤسسات تتيح للأطفال اكتساب الخبرات اليومية التي تساعد في تنشئتهم الاجتماعية الصحيحة والمرغوب فيها من المجتمع، والتي تكمل رسالة الأسرة التي تعوقها بالضرورة معوقات كثيرة، كما سبق أن بينا وفي هذا تقول "كاثرين ريد"، (Kathrine Read) وقد يكون من الصعب علينا أن نقدر كيف تحد الحياة الحديثة من نمو الأطفال العقلي، حيث أنها تحد من خبراتهم المباشرة في الحياة، وبأمور العالم المحيط بهم، فالملاحظ أن قلة قليلة فقط من النشاطات المرتبطة بحياة الطفل وحاجاته اليومية، هي التي أصبحت الآن تمارس في المنزل، وإن نتائج الأبحاث التي يبدو منها أن التربية في دور الحضانة، ذات أثر على مستوى الذكاء عند الطفل، يمكن أن نتخذها دليلاً على المزايا، التي تعود على الطفل من السنوات التي يقضيها في دور الحضانة،حيث

تقدم له خبرات مباشرة، أكثر كثيراً من الخبرات القليلة التي تتاح لـه في البيت.

عالم دور الحضانة

جاء في كتاب 'موستاكاس' و'بيرسون' (Moustakns & berson) عن مدرسة الحضانة أنها مركـز تربـوي يسـتهدف متابعـة اكتمـال نمـو الطفل الصغير والتطور الـوظيفي السـليم لجماعـة مـن الأطفـال، وأن الغرض من مدارس الحضانة، هو تحقيق التوازن بـين السـلوك الـذاتي التلقائي للأطفال، وبين التقيد بمعايير الجماعة، وتعني مدرسة الحضـانة فضلاً عن ذلك، بمشاعر الأطفال واتجاهاتهم وتنميـة مهـاراتهم، وهـي تهدف إلى مساعدة الأطفال على إدراك إمكانـاتهم وفي الوقـت نفسـه، تعينهم على تقبل الحدود التي تفرضها الحياة في مجتمع ديمقراطي.

وتعنـى مدرسـة الحضـانة بتعلـيم الأطفـال العـادات الصـحية السـليمة، فـتخطط اوجـه النشـاط الـتي تهـدف إلى تقويـة وتسـهيل اسـتعمالات العضـلات الصـغيرة والكـبيرة، وتحقيـق تناسـقها، وبنـاء أجسام قوية سليمة.

وتقوم مدرسة الحضانة بتوجيه الطفل، وإتاحـة الفرصـة لـه كـي يمارس ويستمتع بخبرة التعامل مع الآخرين ممن هـم في سـنه أو أصـغر أو أكبر منه، فهي تهيئ له فرصاً متعـددة لمشـاركتهم والتعـاون معهـم، وتساعده على أن يتعلم متى وكيف يفعل ذلك.

ومن واجبات مدرسة الحضانة تدريب الطفل على التفكير المنطقي، والاعتماد على النفس وتحمل المسؤولية واحترام الحرية الفردية.

ومن مسؤولية المدرسة، توطيد علاقة بناءة مع والدي الطفل وجماعة الآباء وهي علاقة يجب أن تقوم على الاحترام والتعقل والتعاون.

ويجب أن تعن مدرسة الحضانة بتنمية شخصية الطفل، وتوجيه ميوله واتجاهاته ومعتقداته التي ستعينه على أن يصبح فرداً سعيداً آمناً منتجاً في المجتمع الذي هو عضو فيه، ولتحقيق هذه الأهداف يجب أن يتوافر في مدرسة الحضانة حتى يسود الدفء العاطفي والمحبة والهدوء.

ومدارس الحضانة تخدم مختلف الأسر المتباينة في مستوياتها الثقافية والاجتماعية والاقتصادية، ويشرف على إدارتها وتمويلها مختلف الهيئات كالمؤسسات الاجتماعية، والمؤسسات الصناعية والتجارية والجامعات.

والواقع أن مدرسة الحضانة تجربة من التجارب التي نجحت نجاحاً رائعاً في تنشئة الأطفال الاجتماعية، وفي إعدادهم للحياة الديمقراطية التعاونية، ففي مدرسة الحضانة، يستقبل الطفل في سن الثالثة، في مجتمع مصغر، حيث يتمتع الجميع بحقوق متساوية، وفرص

متكافئة. وفيها ينظر إلى الطفل من ناحيتين أساسيتين، فهو ينظر إليه كفرد، كما ينظر في الوقت ذاته كعضو في المجتمع، وتكون حاجاته الفردية مرتبطة في الوقت نفسه بحاجاته الاجتماعية، ومنذ البداية، تنظم بينه المدرسة وتهيأ،ويهيأ كل شيء فيها، بطريقة تشجعه على أن يتعلم كيف يعيش عيشة سعيدة ونافعة بين أقرانه، إذ أنه بهذه الطريقة وحدها يستطيع أن ينمو نمواً كاملاً.

وعندما يدخل الطفل مدرسة الحضانة، يكون في العادة وفي بداية الأمر "فردياً" إلى حد بعيد جداً، فمن بديهيات علم النفس الاجتماعي، أن الميول الفطرية الفردية أسبق ظهوراً، وأقوى كدوافع للسلوك من الميول الاجتماعية، ومهمة مدرسة الحضانة أن تساعد صغار الأطفال على أن يتحولوا من كائنات فردية متوقعة حول نفسها إلى أشخاص اجتماعيين، وهذه، في الواقع، ليست بالمهمة السهلة، لأن هناك دائماً صرعاً مستمراً بين الرغبات الفردية الأنانية، وبين الواجبات الاجتماعية، ولذلك تكون مدرسة الحضانة في منتهى اليقظة، وتوفر باستمرار الفرص المختلفة لغرس الميول الاجتماعية وتنميتها، وفي ذلك يقول "دوركايم" : "فالمدرسة، في الواقع، جماعة حقيقية ذات وجود فعلي يسهم فيها الطفل بالطبيعة وبالضرورة،وهي جماعة تختلف في طبيعتها عن الأسرة.

إذ أنها لا تقوم، قبل كل شيء، على تقارب القلوب واندماج العواطف، كما هو الحال في الأسرة، وإنما تتمثل فيها- على صورة أولية بسيطة- كل ضروب النشاط العقلي، وعلى ذلك ففي وسعنا أن نهتدي في المدرسة إلى الوسيلة التي ندمج بها الطفل في حياة اجتماعية مختلفة عن حياته المنزلية، وفي وسعنا أن تدفعه دائماً إلى أن يشبعها بالقدر الذي تستحقه، ففترة الدراسة إذن فترة حاسمة فريدة لا تعوض، نستطيع فيها أن نؤثر في الطفل، دون أن تكون طبيعته قد تغيرت بعدها تغيراً عميقاً بفعل الثغرات القائمة في نظامنا الاجتماعي، أو استيقظت فيه مشاعر تجعل من الصعب اندماجه في الحياة الاجتماعية.

وليس هناك شك في أن 'دوركايم' عندما يتحدث عن المدرسة، إنما يعني الهيئة التربوية الأولى، التي يلتحق بها الطفل، سواء كانت مدرسة حضانة أو روضة أطفال أو مدرسة أولية أو ابتدائية، وذلك لأنه يحرص على توضيح أفكاره في التربية الأخلاقية، التي هي جانب من التنشئة الاجتماعية، بأمثلة لأطفال لم يتجاوزوا مرحلة الحضانة، أي السادسة من العمر، وآية ذلك أيضاً أنه يقول عن المدرسة الأولى التي يذهب إليها الطفل وهو جد صغير، :'فتلك أرض بكر يمكننا أن نغرس فيها بذورنا التي تنمو من تلقاء نفسها حالما تنبت جذورها في تلك الأرض.

وعلى الرغم من اهتمام مدرسة الحضانة بغرس الروح الاجتماعية وتنميتها في نفس الطفل، فهي تهتم أيضاً بأن لا يذوب الفرد في الجماعة، بل يكون له كيانه الخاص وذاته المنفردة، وأشياؤه المتعلقة به، ولذلك تحرص على أن يكون لكل طفل بعض المخصصات،أي الأدوات التي تخصه شخصياً، والتي يشعر بأنه هو وحده دون غيره، كما تحرص مدرسة الحضانة على وضع علامة أو صورة خاصة ترمز إلى مخصصات كل طفل كالمنشفة، والفرشاة، والمشط، والمشجب الخاص به الذي تعلق عليه ملابسه والسرير الصغير الذي ينام عليه والبطانة والملاءة التي يتغطى بها.

وقد يبدو غريباً بعض الشيء، أن تؤكد مدرسة الحضانة فكرة الاهتمام بالمخصصات، أو الممتلكات الفردية، كوسيلة من وسائل تربية الميول الاجتماعية وتنميتها، ولكن الواقع أن كثيراً من أطفال الأسر الفقيرة، لا تسمح لهم ظروفهم أن يملكوا أي شيء، وأن يشعروا بأن هناك شيئاً يخص الواحد منهم وحده وبصفة كلية، ومن الصعب جداً أن نعلم مثل هذا الطفل الفرق بين فكرة ومعنى"هذا ملكي أو يخصني"، وبين فكرة ومعنى"هذا ملكك ويخصك" إلا إذا أعطيناه شيئاً يشعره حقيقة بأنه وحده يمتلك شيئاً، فاحترام ملكية الغير ومخصصاته، يجب أن يقوم على تقدير الملكية الشخصية، واعتزاز الفرد بما يخصه هو.

ولا يفوتنا في هذا المقام الذي نؤكد فيه القيمة الاجتماعية للملكية الخاصة الشخصية، أن نؤكد أيضاً القيمة الصحية، التي تعود على الطفل من أن يكون له منشفته الخاصة به، ومشطه الخاص به، إلى غير ذلك من الأدوات والمخصصات، فمن أهم واجبات دور الحضانة، أن تحرص حرصاً شديداً على نظافة الأطفال الشخصية وعلى سلامة صحتهم، لأن صغار الأطفال شديدو القابلية للعدوى، وإهمال النظافة من الأمور التي تهدد صحتهم وتعرضهم للأمراض الفتاكة. كذلك فإن اهتمام مدرسة الحضانة وتمسكها أمام الأطفال بمستوى معين من النظافة سواء نظافتهم الشخصية، أو نظافة المكان أو اللعب أو الأدوات، كل ذلك يساعد بمرور الوقت، على خلق الوعي بالنظافة وتثبيتها في نفوسهم وسلوكهم.

ومما يسهم في المحافظة على صحة الأطفال وسلامة نموهم، تدريبهم -بطريقة طبيعية دون الضغط عليهم - على العادات الصحية المختلفة، فالأطفال يتعلمون بسهولة وفي سياق نشاطهم اليومي، كيف يحبون الطعام المناسب، وكيف ينتظمون في الأكل والهضم والإخراج، والنوم، وكل ما من شأنه أن يحفظ سلامة صحتهم، ويظن كثير من الناس أن هذه أمور فيزيقية محضة، ولا تحتاج إلى تدريب أو تنظيم أو اهتمام كبير من جانب الكبار، ولكن الواقع أنها أمور ذات أهمية بالغة في حياة الفرد الشخصية والاجتماعية، لأنها أساليب حياة، ولذلك فهي تتطلب تنظيماً معيناً دقيقاً من الجهاز

العصبي، تنظيم يتم بالتدريب والتعويد والمثابرة. وإن الطفل يفوته أن يتدرب التدريب الصالح الكافي على هذه العادات اليومية، فقد فاته أن يعرف أول حرف من الحروف الأبجدية للصحة العقلية والنفسية.

وأوقات الأكل في مدرسة الحضانة ذات وظيفة صحية تعليمية اجتماعية،فالطعام مفروض فيه أن يطهى جيداً، وأن يقدم بتنسيق جذاب، وأن يحسن اختياره بالنسبة لاحتياجات الأطفال، ومما يثبت بالملاحظة، إن كثيراً من صغار الأطفال لا يقبلون على أنواع الطعام غير المألوفة لهم، ومهمة مدرسة الحضانة، أن تساعد الطفل على التغلب على نفوره من الأطعمة غير المألوفة، تعلمه كيف يُقبل على أكل نوع من الطعام لم يره، ولم يذق له طعماً من قبل فحياة الشخص الذي يخضع لنزواته الغذائية، ويتقيد بمفضلات معينة في أكله، تكون صعبة ومعوقة بعض الشيء من الناحية الاجتماعية، كما أن الطفل الذي نعوده الإقبال على الطعام، دون أن نربي فيه كره أنواع معينة أو حب ألوان معينة، ونجده في حالة المرض مثلاً يقبل الدواء، ويقبل الغذاء المرضي دون كثير من الأخذ والرد، ولهذا بالطبع أهمية كبرى في الأخذ بيده إلى الشفاء.

وفي مدرسة الحضانة يعلمون الطفل السلوك المستحب والمرغوب فيه أثناء الأكل. ويمكننا أن نتبين أثر مدرسة الحضانة في تهذيب سلوك الطفل الغذائي وتعليمه آداب الأكل وآداب المائدة، إذا

نحن قارنا سلوك مجموعة من الأطفال عند أول دخولهم مدرسة الحضانة لأول مرة، بسلوكهم بعض مضي أسابيع في المدرسة، وهنا نجد فروقاً كبيرة وتحسناً سريعاً، فكثير ممن يلتحقون بمدرسة الحضانة من صغار الأطفال، لا يعرفون في البداية كيف يستعملون الملعقة، أو يجلسون إلى المائدة أو يمضغون الطعام مضغاً جيداً، ومن خبرتنا وملاحظاتنا للمستجدين من الأطفال في دور الحضانة في أوقات الأكل، يمكن أن نقول إن كثيراً منهم يأكل في أول الأمر بيده،أو يأكل من طبق زميله، وكثيراً ما يسكبون الماء والطعام على المائدة وعلى أنفسهم وعلى الأرض، أو يرفضون الطعام كلية، أو يضعون جزءاً منه في جيوبهم، أو غير ذلك من السلوك الفج غير المهذب، ثم هذب سلوكهم تدريجياً في مدرسة الحضانة.

وعناية مدرسة الحضانة بالتغذية على الوجه السابق، تسهم في تقوية صحة الطفل وتساعد على سلامة نموه، فمن بين الدراسات التي أجريت لتقدير الفائدة، التي يمكن أن يفيدها الطفل من التغذية الصحية في المدرسة، دراسة على 18 طفلاً كانوا دون الوزن العادي عند دخولهم مدرسة الحضانة، وبعد فترة لم تتعد عشرة شهور من حياتهم المنتظمة في المدرسة، حيث كانوا يتناولون وجبات الغذاء بانتظام، ويأخذون حظهم في فترات الراحة واللعب، التي تساعد على الهضم والإخراج، وجد أنهم جميعاً، ما عدا ثلاثة زادوا في الوزن، في هذه الفترة، أكثر من الطفل العادي الذي في نفس سنهم، وكلهم، ما

عدا هؤلاء الثلاثة،أصبحوا فوق المتوسط في الوزن بالنسبة لسنهم، وقد وجد أن أحد هؤلاء الثلاثة مشكوك في مرضه بالسل، وأن الثاني عاش في ظروف أسرية قاسية مدة ستة أشهر من الأشهر العشرة التي قضاها في المدرسة، أما سبب بطء الطفل الثالث في زيادة الوزن، فلم يمكن معرفته، ولذلك استمرت ملاحظته حتى تنكشف الأسباب.

وليس المقصود مما سبق، التعريض بعناية الآباء في تغذية أطفالهم في منازلهم، ولكن الحقيقة أن العناية الأسرية الموجهة لتغذية الأطفال، في الأغلبية العظمى من البيوت، لا يمكن أن تنافس عناية مدرسة الحضانة بالوجبات الغذائية، من حيث اختيارها اختياراً، يراعى فيه التكامل وتوازن القيمة الغذائية، ومن حيث تجهيزها وإعدادها وطهوها على أحدث الأساليب العلمية، ثم تقديمها إلى الأطفال في جو بطريقة تساعدهم على الإقبال عليها، وبهذه المناسبة يقرر كثير ممن عملوا في دور الحضانة" أنه من النادر أن نجد أطفالاً في سن السادسة ممن دخلوا دور الحضانة في سن الثانية أو الثالثة- يتشبثون تشبثاً ضاراً بميول خاصة نحو الطعام، كمن يكره الخضروات واللحوم، أو يتقيأ مثلاً من نوع معين من الطعام، أو غير ذلك من الصعوبات والنزوات الشاذة المرتبطة بتناول الطعام.

والطفل في سن الثالثة يدخل في فترة من فترات النمو تتميز بظهور رغبته في الاستقلال وممارسة الاعتماد على نفسه، ظهوراً أقوى

وأوسع منه في الفترة السابقة، ورغبة الطفل في الاستقلال والاعتماد على نفسه، هي التي تجعله عنيداً صلب الإرادة شديدة القابلية للانفجارات الانفعالية، يرفض بشدة أي نوع من أنواع القيود، ومما يزيد الأمر صعوبة تواجد الطفل دائماً مع أمه، ذلك لأن الارتباطات العاطفية القوية، التي تربط بينهما، كثيراً ما تتصارع مع رغبة الطفل الشديدة الملحة في الاستقلال، ولذلك نجده كثيراً ما يدفع بغضب بعيداً عنه، يد أمه عندما تريد أن تمسك به لتصاحبه في السير مثلاً، كما أنه كثيراً ما يبدي ثورته وعناده بأساليب مختلفة، فإن كان رد الفعل من ناحية أمه، هو مقابلته بالتوبيخ والزجر والعقاب، اعتمل الخوف في نفسه من أن يفقد حبهما، ذلك الحب الذي يعني بالنسبة له التقبل والأمن والاستقرار. ومن ثم يتصارع هذا الخوف من فقدان حب الأم مع الرغبة القوية في التحرر منها. وتكون النتيجة أن يعاني الطفل في داخل نفسه الصراع والقلق والشعور بالتعاسة.

ومما لا شك فيه أنه في هذه الفترة الجوهرية لفطام الطفل النفسي من أمه -وبخاصة إذا كان وحيداً أو شبيهاً بالوحيد- تبرز مدرسة الحضانة كأكبر معين ييسر عليه اجتياز هذه الفترة الفطامية الصراعية، ففيهما ينطلق توتره ويتلاشى، وفي جوها الاجتماعي المليء بالحركة، وفي تواجده مع أقرانه تحت إشراف المتخصصات المتفرغات، يبدأ في اكتساب وتشرب الاتجاه السليم نحو سلطة الكبار، فالملاحظ أن الأطفال يتعلمون، بعضهم من بعض، بطريقة أسهل

وأسرع، بالإشراف وغير التسلطي من المشرفة أو المعلمة، نجد الطفل في لعبه وتفاعله مع غيره من الأطفال، يبدأ في السير نحو الوصول إلى التوازن المتطلب في شخصيته من حيث جانباها التسلطي والخضوعي، ذلك التوازن اللازم والجوهري لسلامة صحته العقلية والنفسية، فهو مع أقرانه، وعلى مسرح الحياة في مدرسة الحضانة، يتعلم أن يعطي ويأخذ، ويقود ويتبع، ويتسلط ويخضع، أما المشرفة أو المعلمة، فتستطيع أن تراقب نشاطه عن كثب، تاركة إياه ليتعلم من خبراته وتجاربه ولكنها تكون على استعداد لتقديم المساعدة له، كلما تطَلَّبَ الأمر، ليفيد قدر المستطاع من حياته في مجتمع دار الحضانة الطليق، ومن تعامله في هذا المجتمع مع مجموعة من الأطفال الذين من سنه.

ومن الأهمية بمكان أن نشير إلى اثر المجموعة ككل في عمليات الانضباط فقد قرر "أجيرن" و "مسكف" أن المجموعة نفسها كثيراً ما يمكنها القيام بدور فعال في ضبط سلوك أعضائها، بطريقة أشد تأثيراً من أي فرد خارجها، يكون ذا سلطة خاصة. وكقاعدة نجد أن المنظم الأكثر كفاءة من هذه الناحية، هو مجموعة الأشخاص المتساوين في العمر والمتشابهين في الميول، يعزى الجزء الأكبر من نجاح مدارس الحضانة الحديثة إلى هذه الحقيقية، فكم من طفل صغير كان ذا مشكلة انضباطية لوالديه، أصبح سلس القياد يخضع للنظام، بعد إلحاقه بمدرسة حضانة، ذلك لأنه لا يرغب في أن يستعدي عليه الأطفال

الآخرين في مجموعته، فنجد لزاماً عليه أن يتخلص هو نفسه من طرائقه العدائية، ويتوافق مع الجماعة ويخضع للنظام".

ومما يسترعي الانتباه، أن الطفل غالباً ما يكون أكثر تقبلاً لتوجيه مشرفته أو معلمته، وأكثر استعداداً وميلاً لطاعتها منه مع أمه، ويرجع هذا إلى أن ارتباطه العاطفي بمعلمته، لا يصل في عنفه وشدته إلى درجة ارتباطه العاطفي بأمه، التي ظل يعتمد عليها اعتماداً كلياً منذ ولادته، ومن ثم فهو لا يشعر بالصراع نحو معلمته والرغبة في التحرر منها، مثلما يشعر بذلك نحو أمه، أي أن طبيعة العلاقة بينه وبين معلمته، تختلف عن طبيعة العلاقة بينه وبين أمه، فهو عندما يذهب إلى مدرسة الحضانة، ويتعامل مع مشرفته أو معلمته، يجدها تحبه، ولكنه حب بغير هذا التلهف الشديد المفرط الذي يشعر به من أمه، والذي يدفعه إلى الثورة عليها في محاولة التحرر منها في كثير من الأحيان. وخلاصة القول، أن مدرسة الحضانة بمن فيها من مشرفات ومعلمات متخصصات في معاملة الأطفال، عارفات بطبيعة نموهم وحاجاتهم، تساعد الطفل أكبر مساعدة على الاستقلال والاعتماد على النفس.

ومما يساعد على تنمية روح الاستقلال عند الطفل وإشباع حاجته إلى الحرية والاعتماد على النفس، إن محتويات مدرسة الحضانة - من أثاث وأدوات وأجهزة – قد روعي فيها أن تكون مناسبة للطفل، من حيث الحجم بصفة خاصة، وأن تقدم للطفل

بطريقة تساعده على استعمالها استعمالاً حراً، دون أن يواجه بين الحين والحين بأنه لمس هذا (وهذا ممنوع) فإن بيئة المدرسة، بجملتها وتفاصيلها، من حجرات وأثاث وخامات للعب وأدوات وأجهزة، قد أعدت خصيصاً له، وأنشئت وجهزت، منذ البداية، لتوافق ميوله وتتفق مع قدراته وإمكاناته، ولذلك يشعر الطفل أثناء نشاطاته المختلفة، أنه لا يحتاج إلى قدر يسير من المساعدة والإرشاد ليعمل كل شيء لنفسه، فهو يشبع رغباته وميوله عن طريق ما يبذله من جهد بنفسه ولذلك فالمشرفة أو المعلمة تتحاشى بقدر الإمكان أن تحد من جهود الطفل التلقائي الذي يبذله، في الحدود المقبولة، ودون أن يضر بغيره في سبيل إشباع رغبة من رغباته.

وإن هذه المدرسة الحرة للنشاط، لتضفي على طفل ما قبل المدرسة، المتعطش للاستقلال والاعتماد على النفس، شعوراً يغذيه بالثقة في نفسه، وبأنه سيد عالمه الصغير، وهو شعور يستمتع به كل طفل، ويرى فيه تغيراً مستحباً لحياته في المنزل، حيث يجد نفسه طوال الوقت مضطراً لتكييف سلوكه ونفسه لبيئة الكبار، ومقاييس الكبار، وجو الكبار، وكلها عوامل كثيراً ما تشعره بالإحباط والعجز نظراً للفارق الشاسع بينه وبين الكبار، في الحجم والقوة والخبرة والمعرفة، ففي مدرسة الحضانة يقضي الطفل وقته على راحته، وتبعاً لسرعته الخاصة، ويعيش يومه بطريقة طبيعية.

إن المشاكسة والعدوان والعناد، من الأمور العادية في مرحلة الحضانة، وإذا وجدت هذه الميول متنفساً في مجالات بناءة، فإنها تتحول بالتدريج إلى صفات تقوي الشخصية، فإذا استطعنا، إلى جانب إتاحة الفرصة لهذه الميول لتسير في مجالات بناءة، أن تعطي للنشاط المنبعث منها أهمية اجتماعية، فإن الطفل سرعان ما يبدأ في ربط دوافعه القوية بالقدرة على خدمة الآخرين، والتنفيس عن هذه الميول على هذه الصورة، وفي غير هذا الاتجاه الذي يمس خدمة الآخرين، يتيسر في مدرسة الحضانة بدرجة من المستحيل أن نصل إليها في المنزل العادي.

فالطفل في مدرسة الحضانة يحمل الأثاث، وينقله من مكان إلى مكان لغرض معين واحد له، فهو يحمل الكرسي وينقله ليكمل دائرة مثلاً يجلس فيها الأطفال، أو يحمل الخبز ليوزعه على زملائه وقت الغداء. وكذلك يكنس أرض الحجرة، ويلمع الأثاث، وينظم الزهور، وينظف الكتب واللعب من الأتربة، وغير ذلك من النشاطات المتشابهة، وهو يحفر في الرمل ويبني ويدق ويقوم بنشاطات مختلفة، تحول الميول العدوانية والعناد إلى عزم وقوة في الإرادة وإصرار على بذل الجهد، وعلى قدر المستطاع تترجم دائماً نشاطات الطفل إلى معنى اجتماعي، ويوحي إليه طوال الوقت، أنه، بنشاطاته هذه، إنما يساعد في ترتيب وتنظيم الحجرة أو الحديقة أو المدرسة، حتى يستمتع بها هو وغيره من الأقران والمشرفين عليه، ولهذا نجد المشرفة تطلب

من الطفل أحياناً أن يمزق أوراق الجرائد ليعمل منها كوراً لصغار الأطفال في المدرسة، كما يطلب منه أن يدق الصلصال ويجهزه ويجعله ليناً، حتى يستطيع غيره أن يستعمله، وبهذا الشكل، وعن طريق النشاطات التي لا حصر لها، والتي ترتبها مدرسة الحضانة وتنظمها، يدرب الطفل ويوجه على أن يسير خطوة خطوة نحو التحكم في نفسه، واستعمال قدرته وقواه، لصالح الغير وخدمة الآخرين، وكل هذا يدعم ويقوي فيه الدافع الاجتماعي،ويوقظ عنده الشعور بأنه جزء هام وجوهري في الجماعة التي يعيش فيها.

فالطفل في مجال مدرسة الحضانة، وعن طريق تعايش مع أقران من سنه، أو أكبر أو أصغر من سنه، ينتقل بطريق طبيعي وغير مباشر، كثيراً من أساليب السلوك الاجتماعي، التي لا تتاح له فرصة نقلها من أية بيئة أخرى، وفي الوقت الذي يبلغ فيه الطفل السادسة من عمره، وبعد ثلاث سنين من ممارسة المواقف والعلاقات الاجتماعية، مع أقرانه من أعمار مختلفة ولكنها تقارب سنه، يكون قد اكتسب، بدرجة كبيرة، كثيراً من العادات والاتجاهات الاجتماعية، التي تعد من الجوانب الأساسية في تكوين شخصيته، والتي تعد أساساً يبنى عليه في حياته المستقبلية، ولذلك ينـدر أن يكون الطفل الذي نشئ في مدرسة حضانة، هياباً أو خجولاً. ومن جهة أخرى، قلما نجده، قاسياً أو عدوانياً أو غير رحيم.

ومن سمات مدرسة الحضانة، أن التنشئة الاجتماعية فيها ليست وقفاً على مكان بعينه في بناء المدرسة، كما أنها ليست وقفاً على زمان معين، أو فترة معينة من اليوم، فكل شيء ينشغل به الطفل أو يقوم بعمله أثناء تواجده في المدرسة، يعد ذا قيمة اجتماعية- تربوية، لأن الطفل يتعلم الحياة بالحياة- فهناك نظام معين تسير عليه المدرسة منذ أن تستقبل الطفل كل صباح، إلى أن يخرج منها عندما يحين ميعاد انصرافه، فهناك أوقات معينة للوجبات الغذائية، والاغتسال، وزيارة دورة المياه، والنوم الخ، ومن المفروض أن يتوافق الطفل مع هذا النظام أو مع روتين النشاط المرسوم، وإلا وجد نفسه منعزلاً، ولكن على الرغم من وجود هذا النظام، فإن الطفل يجد أمامه كثيراً من الاختيار، فالمدرسة لا تضع حدوداً للعب الطفل باللعب والخامات المختلفة اللهم إلا إذا كان يريد التخريب، ولا هو مفروض عليه أن يقلد نموذجاً خاصاً في الرسم واللعب بالصلصال، أو بالمكعبات أو غيرها، بل يترك حراً يلعب بما يشاء، وكيفما يملي عليه خياله وتفكيره ودوافعه، فالطفل في مدرسة الحضانة حر ما لم يضر والنشاطات المهيأة له كلها في مستوى قدرته، كذلك هو حر فيمن يزامل من أنداده وأقرانه، ولا يفرض عليه أبداً أن يصادق أحدا من مجموعة معينة، كما أنه لا يستطيع أن يفرض نفسه على أحد أو مجموعة بالذات، فإن سلوكه هو، طريقة تعامله مع الآخرين، هما اللذان يجعلانه مقبولاً عند زميله أو مجموعة أقرانه.

وهكذا، عن طريق الحياة الطبيعية التي يحياها الطفل في مدرسة الحضانة.

وعن طريق اللعب، يتاح للطفل أن ينمو وأن يُكَوِّنُ نفسه ويبلور شخصيته، فالحديقة التي يقضي فيها معظم وقته، وحجرات اللعب الواسعة المفتوحة للهواء الطلق، كلها مهيأة باللعب بالخامات والأدوات، التي تستثير في الطفل النشاط وبذل الجهد بدرجات مختلفة، ففيها نجد الأطواق والدراجات، وغيرها، ما يمكن أن يجري أو يُجَرُ من مكان إلى آخر، وفيها أجهزة التسلق، و الزحاليق، والسلالم، وأكوام الرمل، والأراجيح، هذا إلى جانب كثير من أنواع مواد اللعب وخاماته: التي تشجع الطفل على شد الأشياء ورفعها، أو حملها، أو على القفز والتأرجح، وإذا ترك الطفل ونفسه في هذا الوسط المعد خير إعداد بالألعاب المناسبة التي تحفز على النشاط، وفي هذا المجال الذي يشجع على الاختيار الحر، فإنه سوف يلعب لعباً يقوي أطرافه وعضلاته، وعن طريق اللعب يكتسب قدراً عظيماً من التوافق في الحركات، والقدرة على ضبط النفس والتحكم فيها، كما أنه عن طريق لعبه، وممارسته للنشاطات المختلفة، التي في مستوى قدرته، يستطيع أن يتذوق نتيجة إنجازاته، وأن يشبع حاجته إلى النجاح فيبذل الجهد، ولا يخفى ما في كل هذا من إشباع وتدعيم لحاجته إلى الثقة بالنفس.

ومما هو جدير بالذكر، أن ما يـدفع الطفـل إلى النشـاط والحركـة واللعب، ليست كلها أموراً فسيولوجية، فالذكاء النامي بسـرعة، يـدفع الطفـل إلى كـل أنـواع اللعـب التجـريبي وإلى الاسـتطلاع والبحـث، والطفل في سن ما قبل المدرسة كما سبق أن بينا، يمتـاز بحاجتـه الملحـة إلى الكشف والاستطلاع والتجريب، لدرجة أنه يوصف أحياناً في هـذه السن بأنه "عالم متبـرعم" أو "بحاثة متبرعم" فهو يريد أن يعرف الكثير عـن الدنيا التي يعيش فيها، ويريد المجال الحـر مـن القيـود، الـذي يهيـئ لـه تحقيق هذه المعرفة بالتجربة المصحوبة بالتفكر الهادئ المسترسل، الـذي لا يقطعه أو يشوشه أو يعرقله كبت الكبار، وما يضـعونه مـن عراقيـل وقيود تغيضـه، وتبلبـل عقلـه،وفي السـنوات الثلاثـة الـتي يقضـيها في مدرسـة الحضـانة، تتـاح لـه فرصـة كـبيرة لإشـباع حاجتـه هـذه إلى الاستطلاع بدرجة لا يمكن أن تتاح له في منـزله، فالمدرسة بأسرها تعـد معملاً مجهزاً بطريقة تساعده وترغبه في البحث والتجريـب، واكتسـاب المعلومات المختلفة، فهناك خزانات اللعب المليئة باللعب التي اختيرت لتشبع حاجة الأطفال إلى كسب المهارة والمعلومات، وشحذ الاهتمـام، وجذب الانتباه، كذلك يجـد الطفـل أشـياء يرتبهـا ويصـنفها، وأشـياء يوزعها على زملائه، وبذلك تنمو قدرته على الملاحظة ويعرف الكـثير من حجـم الأشـياء وشـكلها ولونهـا ومادتهـا، وهنـاك مـواد اللعـب التشكيلية مـن رمـل وصلصـال وطـين ومـاء، وهنـاك أدوات اللعـب

المصنوعة من البلاستيك، وغير ذلك من الأشياء كالأكواب والأطباق والأسطال، الخ، التي يمكن أن ينتفع بها الطفل في لعبه وتجربته.

والحديقة في مدرسة الحضانة، من أهم المجالات لتغذية حب الاستطلاع عند الطفل، وحفزه على السؤال والاستفسار، وتشجيعه على الوصول بنفسه، وبأقل إرشاد ممكن من ناحية الكبار، إلى فهم الظواهر الطبيعية، ومعرفة حقائق الحياة الأساسية، من ميلاد ونمو، ووفاة، وغيرها.. فهو يلاحظ النباتات والزهور في أحواضها، والحيوانات الأليفة في حظائرها، والطيور والدواجن في أقفاصها، كما أنه يشجع أيضاً على رعايتها وتعهدها والعناية بها.

ومن الأسس التي تقوم عليها مدارس الحضانة، تجنب التدريس الرسمي الشكلي بمعناه الجاف التقليدي، في تعليم القراءة والكتابة والحساب بطريقة شكلية، وفي فصول تتطلب السكون وعدم الحركة، فمدرسة الحضانة بيت أكثر منها مدرسة، وهي إعداد للمدرسة أكثر منها مدرسة بعينها، ولذلك فهي تحرص على أن يتعلم الأطفال هذه الأولويات العلمية في سياق النشاطات السارة المتتابعة والموجهة البناءة، التي تُكَوِّنُ الروتين اليومي في المدرسة، إنهم يتعلمونها، لا كمواد جافة قائمة بذاتها، بل على أنها أساليب مساعدة وميسرة لتقدمهم في نشاطاتهم وألعابهم، حيث يختفي فيها الفرق بين العمل

واللعب، فالأطفال يعلمون و يتعلمون عندما يبدو لهم انهم يلعبون، ويلعبون عندما يبدو لهم أنهم يعملون ويتعلمون.

وهكذا نجد أن مدرسة الحضانة، بهذا المفهوم الذي لا يفرق بين العمل واللعب، والذي يمزج بين التعليم والنشاط، تتيح الفرصة للطفل كي يكتسب الخبرات والمهارات والمعلومات، التي تكون أساساً طيباً ومتيناً يبني عليه مزيداً من الخبرات والمهارات والمعلومات في المراحل التالية لنموه وتعليمه.

هذا فضلاً عن أن مدرسة الحضانة تعد الطفل للمستقبل، وتنقذه من مواجهة تلك الصدمة التي كثيراً ما يعاني منها الأطفال، الذين يتركون المنزل مباشرة إلى المدرسة الابتدائية، وهي إذ تعد الطفل للمستقبل، لا تضحي بحاضره، بل تهتم به أساساً، وبأن يحيا هذا الحاضر حياة سعيدة مليئة بالنشاط والعمل والفرص التي تتيح له النمو والنضج في جميع أبعادهما.

وليس الغرض من بسط الحقائق السابقة، هو الاختيار بين دار الحضانة من جهة، وبين الأسرة من جهة أخرى وتفضيل إحداهما على الأخرى، وإنما الغرض من ذلك، إعطاءه صورة إجمالية عن حقيقية الخبرات التي يعيشها الطفل في مدرسة الحضانة، والكيفية التي تساعد على علاج أوجه النقص الموجود بالضرورة في حياته المنزلية، وتأكيد الرأي بأن مدرسة الحضانة، بالنسبة للطفل، وبالصورة التي

وضحناها آنفاً إنما هي نوع متحسن من الحياة المنــزلية،وإضافة ومزيـد لا بد منــه في رعايـة الطفـل وتنشـئته، في عصـر العلـم والتكنولوجيـا وتطبيقهما، بما ينفع الناس والمجتمع ببناء الشخصية على أسس سـليمة، أما بالنسبة للأسرة فإن مدرسة الحضانة هي المعـين والمسـاعد وليسـت البديل الذي يحل محل البيت، وهي بهذه الصورة، تقوم بـذلك الجانـب المقصود والموجه من التنشئة الاجتماعية، وهو التربية، وفي ذلك يقـول نيل سملسر[1] مهما تكـن درجـة تركيـز العلاقـات بـين الأم والطفـل في السنوات المبكرة الأولى، فإن هذه الفترة قصيرة الأمد. ويتطلب المجتمـع الحضري الصناعي على المتقدم مهارات تقنية أعقد مـن أن توفرهـا لـه الأسرة، ومن ثم فإن الأسرة تتجه إلى التنازل عـن كـثير مـن وظائفهـا التدريبية إلى الأنساق التربوية الرسمية، فالأسرة التربوية تفقـد ضـبطها لأطفالها في سن مبكرة جداً، وتسلمهم للمدرسة الابتدائيـة، بـل حتـى مدرسة الحضانة.

والواقع أنـه يتضـح لمـن تتـاح لهـم الفرصـة لزيـارة إحـدى دور الحضانة الصالحة سواء أكانت للفطماء أو الأطفـال مـا قبـل المدرسـة، ومعايشة الأطفـال فـترة كافيـة، أنـه في جماعـة (community) صـغيرة فريدة في بابها، فهي نابضة بالحركة، مفعمة بالنشاط، الذي يشـترك فيـه الأطفال مـع الحيـوان والجمـاد في مختلـف اللعـب والأجهـزة، وكأنمـا تقمصتها أرواح جعلـت لهـا مراكـز (statuses) ومكانـات (prestige) كما جعلت لها أدوار (roles) تؤديها في حياة هـؤلاء الأطفـال، الـذين

يحيلون هم ولعبهم وأجهزتهم دار الحضانة إلى دنيا صغيرة طفلية تدور وفق حساب وقت طفلي، يختلف عن حساب وقت الكبار في دنيا الكبار، حيث ينظرون إلى اللعب والأجهزة على أنها أشياء مادية، صنعت من الخشب والبلاستيك، وأنها جامدة لا حس فيها ولا حركة، ولكنها في نظر هؤلاء الأطفال، أفراد يكملون جماعتهم الحضانية (nursery community) وَيُكَوِّنُونَ علاقات اجتماعية ويتبادلون معها شتى العواطف، حتى أنهم ليحلمون بها في منامهم، ويهتمون بها في يقظتهم.

إن الإطار الاجتماعي في دار الحضانة، يوسع مصادر إرضاء رغبات الأطفال، ويجعلهم يتعاملون مع غيرهم من أقرانهم، في جو تتكافأ فيه الفرص حتى أنه ليصبح من السهل على المشرفات في الدار، أن يراقبن سلوكهم بعضهم مع بعض، ويقارن بعضهم ببعض، فيتضح لهن التفاوت العقلي والنفسي والاجتماعي بين المتساويين في الأعمار، وهكذا يسهل عليهم تمييز المتفوقين من المتخلفين، والاهتمام بهذه الظواهر وبحث أسبابها، ومحاولة الإسهام في علاج الأعراض السيئة، بالتعاون مع المختصين ومع الأمهات، وتمكين المتفوقين في الوقت نفسه، من السير قدماً في إظهر نبوغهم، وهكذا يتضح بحق، أن دور الحضانة ذات أثر كبير في صنع الشخصية، فهي تنميها، وتبرز مكنوناتها، وتشكلها، بل تُقَوْلِبُهَا وفق الطابع المنشود، الذي تظهر فيه ملامح السمات القومية المرغوب فيها.

و الأطفال في دنيا الحضانة، يمثلون شخصياتهم الحقيقية على مسرح الحياة الصغيرة فيها، فهم يستدمجون ثقافة الجماعة الحضانية، ويمتصون فيها قيمها معاييرها وعاداتها، تحت رعاية المشرفات اللاتي يقمن بدور هام في تطبيعهم الاجتماعي الذي يعد في هذه المرحلة من عمرهم، القاعدة الوطيدة التي ترسي عليها فيما يعد، عمد تنشئتهم في المدارس المختلفة المستويات التي يلتحقون بها الواحدة تلو الأخرى، حتى الجامعة أو المعاهد العليا، وكذلك المجموعات الاجتماعية الأخرى، التي ينضمون إليها، ويتعاملون مع أفرادها، ودار الحضانة من هذه الناحية، صنو الأسرة، تكمل عملها، وتتعاون معها في بناء شخصية الطفل وصقلها وإكسابها أسس الصفة الاجتماعية.

تعاون دار الحضانة والأسرة

إن تعويد الطفل النظام والعادات الصالحة والانضباط في حياته أمر لا يتوقف على جهود دار الحضانة وحدها، ولا يتم بما ترسمه من جانبها من نشاطات وأنظمة لأطفالها، فلا بد أن تسري هذه الأنظمة والأساليب، وتمتد وتنفذ إلى داخل بيوت الأطفال، ويتبناها والدوهم، ويسيرون عليها في تنشئتهم، وبذلك يكون هناك ثبات في توحيد في تربيتهما، ولا يتحقق هذا إلا بتعاون دار الحضانة والأسرة، فبالتعاون المتبادل بينهما تؤتى التنشئة في دار الحضانة ثمرتها المرجوة، ومن الأهمية بمكان، ومع الأطفال في مرحلة الحضانة بصفة خاصة ثمرتها

المرجوة، ومن الأهمية بمكان ومع الأطفال في مرحلة الحضانة بصفة خاصة، أن يسود الثبات في تعاملهم، وأن يكون هناك نظام موحد ورأي موحد في رسم قواعد السلوك، التي يسيرون عليها، أما التذبذب وانعدام التوحيد في الرأي في التعامل معهم، فيعد من اكبر معوقات التربية ونمو الشخصية وتفتحها.

والقاعدة العامة في دار الحضانة، أن تحرص المشرفات فيها على التعاون مع أسرة الطفل، وعلى دوام العلاقة وتوثقها بينهن وبين والديه، ومن مظاهر التعاون توحيد الكلمة بين الطرفين، حرص المشرفات في دار الحضانة على إحاطة الأسرة علماً بخطتهن في العمل مع مجموعة الأطفال التي ينتمي إليها طفلها، وكذلك بممارسته لهذا الطفل من عناية فردية، حتى يستطيع المنزل القيام بدوره في هذه العناية، ومواصلة رعاية الطفل على النمط، الذي تسير عليه المشرفة، وزيادة على ذلك، فإن المشرفة تحرص على دراسة تنشئة الطفل في أسرته لتأخذ في الاعتبار عند وضع خطة العمل معه، نظام حياته الفعلي والواقعي في بيئته، وما عسى أن يكون قد اكتسبه من خبرات معينة، أو مر به من ظروف فردية خاصة، وتجعله يمتاز أو يتأخر عن أقرانه مثلاً، فكثيراً ما نجد من الآباء من يعرف معرفة جيدة خلق طفله وشخصيته، كما يعرف بخبرته معه، الطرق والأساليب الأكثر جدوى والأسرع أثراً في التعامل معه، ولذلك تستعين المشرفة كلما أمكن بمعرفة الآباء لأحوال أطفالهم.

ومن جهة أخرى فإن بعض الآباء يظهرون حيرة كبيرة مع الطفل من حيث التعامل معه، أو النجاح في تهيئة الظروف المشجعة على تربيته وفي هذه الحالة تساعد المشرفة الآباء بالإرشاد والتوعية في إطار من الاحترام والتقدير، الذي يشعرهم بأنها كما تعلمهم الكثير عن الطفولة والأطفال، فإنها أيضاً تتعلم منهم ومن خبرتهم الشيء الكثير، ومن صور التعاون التي تقوم بها در الحضانة نحو الأسرة، تنظيم اجتماعات للآباء حيث تدور المناقشات عن تربية الأطفال بصفة عامة تفيد الجميع، وفي بعض الأحيان تنظم اجتماعات الآباء في مجموعات صغيرة تبعاً لمستوى أعمار الأطفال.

وكثيراً ما يدعى الآباء لمعارض تقام بدار الحضانة، ليروا كيف تؤثث حجرة الطفل بالأثاث الملائم له، وكيف ينظم ركن اللعب للطفل في المنزل، واللعب أو الكتب المناسبة له من حيث سنه وجنسه، والمهارات التي يمكن تدريب الطفل عليها، وأحسن الطرق لتعويده العادات الشخصية والصحية المختلفة، كذلك كثيراً ما تعرض على الآباء نماذج لملابس الأطفال المستوفية للشروط الصحية، وغير ذلك مما يرشد الأهالي في رعاية حضنائهم الرعاية السليمة.

ومن المألوف في هذا المجال، أن تخصص دار الحضانة بعض أمسيات الأسبوع لعرض الأفلام السينمائية التربوية على الآباء، ويتبع هذا العرض بمناقشتها والتحدث عنها، كما تشجع الأمهات على

الحضـــور في أوقـــات معينـــة، دروس في تفصـــيل وحياكـــة ملابـــس الأطفال، أو في تحضير وإعـداد وجبـات غذائيـة متكاملـة لهـم، أو في كيفية اختيار القصص المناسبة لهم وإلقائها عليهم.

وإمعاناً في تقوية الروابط بين دار الحضانة وأسـرة الطفـل، كـثيراً ما تلجـأ المشـرفة، حيـث لا تحـول التقاليـد دون ذلـك وحيـث يتسـع الـــوقت، إلى أن تزويـــد منـــزل الطفـــل بصـــفة شخصـــية وغـــير رسمية،حيث تتبادل الآراء مع أبويـه في شـؤون تربيتـه، وتكـون علـى علم أولاً بأول مما يطرأ على أسرته من ظروف جديدة، تـنعكس علـى تربيته والتعامل معه، فتقدم النصيحة، وتعاون في تخفيف وقع ومفاجـأة الظروف الجديدة، وترسم مع أبويه خطة السير في الأيام المقبلة.

وبالإضافة إلى ما سبق من الأساليب التي تتبعهـا دار الحضـانة في تقوية الروابط بآباء الحضناء وتوعيتهم وإرشادهم، نجدها تسمح للآبـاء أن يزوروا الدار في أي وقت، ليروا أطفالهم وهم يمارسون نشـاطاتهم، وليستأنسوا ويسترشدوا بـرأي المشـرفة أو الطبيبـة أو المـديرة فيمـا قـد يقلقهم من ناحية الطفل وهناك أيضاً مجلس للآباء ينتخـب في اجتمـاع من اجتماعات الآباء العامة، ويكون هذا المجلس حلقة الاتصـــال بـين الآباء وهيئة دار الحضانة، كمـا أن هنـاك حفـلات الشـاي، وحفـلات السمر أو حفـلات أعيـاد مـيلاد الأطفـال، الـتي تقيمهـا دار الحضـانة وتدعو لها الآباء.

وخلاصة القول، أن دار الحضانة تتيح كل الفرص الممكنة لآباء الحضناء ليكتسبوا البصر العميق بتربية الطفل، ولكي يكونوا معها يداً واحدة في التعامل معه، والأخذ بيده، وتعزيز نموه من جميع نواحيه، وجدير بالذكر أن هذا الاهتمام بتحقيق التعاون مع الأسرة، يتفق تمام الاتفاق مع ما ورد في توصيتين من توصيات المؤتمر الدولي للتعلم العام بجنيف، بشأن تنظيم التعليم في مرحلة ما قبل المدرسة، فالبند السادس عشر من التوصية رقم 17 لمؤتمر سنة 1939 ينص على أن التعاون مع الأسرة أمر هام طوال الحياة الدراسية.

إلا أنه يعتبر أمراً جوهرياً في مرحلة ما قبل المدرسة، ولذلك يجب أن تشجع اجتماعات أولياء الأمور، والزيارات في المنازل، واشتراك الآباء في ألوان نشاط المدرسة.

ويعود المؤتمر في عام 1961، ليؤكد الحقيقية عينها، فينص البند السادس والعشرين للتوصية رقم 53، على أن التعاون مع الأسرة ضروري في مرحلة ما قبل المدرسة، والهدف من هذا التعاون هو إشعار الوالدين بمسؤولياتهم التربوية ومساعدتهم على الاضطلاع بها، وينبغي ألا يقتصر هذا التعاون على مجرد مقابلة الآباء، الذين يحضرون أبنائهم إلى المدرسة، بل يجب أن يشمل على المقابلات الدورية، والأحاديث الخاصة ؛ وعقد حلقات للمناقشة، وكذلك مشاركة الآباء لأبنائهم في ألوان النشاط المدرسي، وزيارة المدرسة أثناء سير الدراسة، كذلك زيارة المعلمات للأسر.

المراجع

- اللغة والطفولة د. صالح الشماع.
- للأطفال مشاكل نفسية د. ملاك جرجس.
- لماذا ينحرف الأطفال د. محمد نسيم رأفت.
- 250 نصيحة للعناية بالطفل عايدة الرواجبة.
- مخاوف الأطفال د. السيد محمد خيري.
- طبيبك الخاص مؤسسة دار الهلال .
- الأسرة في التشريع الإسلامي محمد أحمد فرج.
- تربية الطفل ومبادئ علم النفس إملي عبد المسيح وغيرها.
- محاولة في تفسير الشعور بالعداوة الدكتور سيد عويس.
- سيكولوجية اللعب سوزانا ميلر.
- سيكولوجية اللعب والتربية الرياضية ليلى يوسف.
- الصحة النفسية حمدي حنبلي.
- التأهيل الإسلامي لرعاية الشباب د. محمد عزمي صالح.
- اتجاهات حديثة في الترويح وأوقات الفراغ د. كمال درويش وغيره.
- نشاطات علمية للأطفال دين ويلو.

- طبيبك للدكتور سامي القباني.
- طبيبك معك للدكتور صبري القباني.
- طبيب نفسك بالتعاون مع المنظمة العالمية للوقاية والعلاج بجنيف.
- حياتك في سبيل حياة أفضل - رئيس التحرير / يوسف محمد جادو .
- بلسم دار الهلال الأحمر الفلسطيني.
- الأسرة والطفولة الأستاذ يحيى درويش و د. محمد نبهان.
- الأطفال واللعب فيولا البيلاوي .
- سيكولوجية الطفل والمراهقة مصطفى فهمي.
- وقت الفراغ توجيه التربية الاجتماعية بالجيزة.
- القيم التربوية لثقافة الطفل تعريب الأستاذ محمد الزلباني.
- سلسلة الدراسات العلمية مكتبة التربية طفلك منذ مولد.
- دليل الطفل الطبي إميل خليل بيدس.
- كيف تعلمين طفلك أسرار الحياة كتب الحقيبة.
- الطفل والثقافة د. عبد الرزاق جعفر.
- تعرف على شخصيتكه ـ ج. أ يزيك.
- اختبر ذكائك هـ ج. أيزيك.
- تربية المراهق في المدرسة الإسلامية اللواء محمد جمال الدين.

دور المدرسة والأسرة
في التنشئة الاجتماعية عند الأطفال